محمد البـاز

نُكت السيد الرئيس

- النكت التى قتلت الرئيس عبدالناصر
- أرجوزات فى غرفة نوم السـادات
- وزراء يجمعون النكت للرئيس مبارك



إهـــــداء ٢٠٠٨

أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس

جمهورية مصر العربية

نكت..

السيد الرئيس

محمد البــاز

نكت..
السيد الرئيس

المؤلف

محمد الباز

••

الناشر

كنوز للنشر والتوزيع

٣٧ ش قصر النيل . القاهرة

تليفون: ٠١٢٧٣٥٢٢٣٩ ـ ٠١٠٥٣٣٤٤٥٨

••

التنفيذ الفنى

عفت إبراهيم

••

الإشراف العام

ياسر رمضان

••

رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ١٥١٣٥
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-04-9734-7

نكت..
السيد الرئيس

محمد البـاز

الناشر
دار كنوز للطبع والنشر

□□

عندما أنظر إلى مرآة الرؤساء ينشطر إحساسى بهم إلى نصفين.. فهم على جانب من المرآة مساكين وغلابة يتحملون مالا طاقة لهم به من مشاكل المواطنين وهمومهم.. وعلى الجانب الآخر فراعنة يتصرفون مع شعوبهم وكأنهم عبيد يملكونهم ويتصرفون فيهم كما يشاءون وبالطريقة التى يرغبون.. لا يفكرون فيهم إلا بالشكل الذى يريحهم ويحقق لهم مصالحهم ويجعلهم يستمرون فى مقاعدهم إلى الأبد.

وما بين الإحساسين أسأل نفسى .. هل يستطيع الرئيس أن يضحك مثلنا.. هل يمكن أن يركن ظهره إلى الحائط ويطلق ضحكة رائعة صافية يضرب الدنيا من خلالها بحذائه غير باك على شئ .. هل يستطعم النكتة التى تلقى عليه من حضور مجالسه الكثيرة.. وهل عندما يعقد إجتماعات لمجلس الوزراء تسير الإجتماعات بشكل جاد وصارم.. أم تتخللها بعض التعليقات والإفيهات التى تفجر الضحكات وهل يعطى الرئيس إشارة البدء فى الضحك أم أن الوزراء يبدأون فى الضحك.. حتى لو لم يضحك الرئيس !

كل هذه أسئلة أراها مشروعة.. فالرئيس فى النهاية مواطن مصرى .. إنسان مثلنا جميعا تحيط به الهموم.. وتتكاتف على قلبه الضحكات.. يدخل فى موجات من الاكتئاب الحاد.. ويحتاج فى أوقات كثيرة إلى مساحات واسعة يعيش فيها حياته على طبيعته.. يبتسم إذا لزم الأمر.. يضحك إذا إحتاج .. ولاغرابة فى ذلك .. فالرؤساء الذين حكموا مصر حتى الآن خرجوا من بيننا تعلموا فى مدارسنا.. وعانوا من نفس همومنا.. وسمعوا لنفس وكل النكت التى نستمع إليها.. وتربوا على نفس الأخلاق والقيم التى تربينا عليها جميعا.. وعليه فإننا لا ننكر عليهم أن يأتوا بمثل ماناتى به .. وأن تكون لهم جلسات خاصة كما لنا جميعا جلسات خاصة.

إن الضحك فى حياة الإنسان قيمة مهمة للغاية .. لا يستطيع أحد أن يعيش بدونها حتى ولو كان فى مهام ومسئوليات وهموم الرئيس، إن الرؤساء عندنا يصدرون لنا وجوههم التى لايحبونها.. العبوس والتجهم والتكشيرة العريضة هى سيدة الموقف.. وقد يعتقدون بذلك أننا يمكن أن نقتنع أنهم بشر لا يضحكون ولا يعيشون بشكل طبيعى وذلك كله من أجلنا نحن.. وهو كلام ليس منطقى بالمرة.. فإذا كان الضحك يميت القلب .. فإن الإنسان الذى لا يضحك هو إنسان ميت وبشكل كامل لا روح فيه ولاحياة.

لقد كان الرئيس مبارك حريصاً فى لقاءاته وأحاديثه الأخيرة على التأكيد على أنه لا يعيش حياته بشكل كامل.. بل إنه محروم من أن يعيش

حياته العادية.. فلا يستطيع أن يتمشى فى الشارع بشكل عادى مثل بقية خلق الله.. ولايستطيع أن يأخذ حفيده فى زيارة إلى مكان عام.. بل إنه لايستمتع مطلقاً برحلاته الخارجية التى يقوم بها إلى كل بلاد الدنيا.. لأنها رحلات تحت ظلال حراسات مشددة وبرامج صارمة لابد من القيام بها وإلا تعرضت حياته للخطر

هذه التصريحات رغم ما بها من إعتراف إنسانى بحاجة الرئيس إلى أن يعيش مثلما يعيش المصريون .. لكنها دخلت مساحة السخرية التى يجيدها هذا الشعب المطحون.. فإذا كان الرئيس يضيق بالمنصب الذى قضى فيه أكثر من ربع قرن فلماذا لا يتركه حتى يستريح ويستطيع أن يستمتع بتفاصيل الحياة اليومية.. ورغم أن السخرية لم تتحول إلى نكتة.. إلا أنها تعيد إلى الأذهان النكتة التى تعلقت برقبة جمال عبد الناصر فى أواخر أيامه.

● اشتد على جمال عبد الناصر المرض .. وعندما استرد عافيته بعض الشئ سأله الطبيب، إنت الوقتى تقدر تمشى؟ فرد عليه جمال: أيوه أقدر أمشى .. فقال الطبيب بلهفة : طيب ماتمشى.

لانستطيع أن ننكر أن هناك ابتسامات تحرص الحكومة عندما يجتمع الرئيس بوزارءها على تصديرها إلينا وهى الإبتسامات التى تسجلها كاميرات نشرات الأخبار فى لحظات سريعة قبل بداية الإجتماعات الفعلية.. فبمجرد أن يبدأ الاجتماع تخرج الكاميرات.. فليس كل ما يقال فى إجتماعات مجلس الوزراء يجب أن يعرفه الناس.. هذه الإبتسامات

مصنوعة بعناية.. فهم يحاولون خداعنا بأن كل شئ على مايرام .. والمشكلات كلها تحت السيطرة.. ولذلك فلا داعى للإكتئاب أو الحزن.. بل إنه لا مكان إلا للإبتسامات.. وعندما تنفض الإجتماعات.. لا نجد جديدا يمكن أن نصغى إليه.. وقد تجد نفسك مدفوعاً إلى السؤال عما كان يضحك هؤلاء الوزراء .. بل هل يستحقون أن يتبادل الرئيس معهم الابتسامات.

لن أكون مبالغاً إذا قلت أن الضحك فى حياة السياسى ضرورة.. ليس لأنه إنسان عادى مثلنا فحسب.. ولكن لأن الضغوط التى يتعرض لها تجعله أكثر احتياجاً لمن يرفه عنه ويبعث فى نفسه البهجة ولو لساعات قليلة ما بين فترة وأخرى.. ولاتتعجب عندما تعرف أن أجهزة المخابرات كانت تستعين بنجوم الكوميديا لتنظيم جلسات لإضحاك المسئولين الكبار.. وكانوا يحصلون مقابل هذه الجلسات على مبالغ مالية ضخمة فالضحك خدمة جليلة تستحق أن يدفع فيها الكثير.

هنا لن أدعى أننى أقدم دراسة عن الضحك فى حياة الرؤساء.. ولكن أحاول التفتيش فى الحالة النفسية للرئيس .. طرحت سؤالا بسيطا وهو هل يضحك الرئيس؟ ولما أدركت أنه لابد أن يضحك.. عدت لأسأل: وكيف يضحك الرئيس؟ هنا محاولة للإجابة تتشكل من مواقف ونكت وتحليلات وشهادات ومذكرات.. ولن أكذب عليكم فهنا أيضا إدعاءات قام بها البعض ليزعم أنه كان له دوراً فى إضحاك الرؤساء وذلك سعيا وراء دور.. أى دور فى تاريخنا حتى لو كان دور المهرج..

لاتستهين بدور المهرج هذا .. فقد قام فى تاريخ مصر بمهام ثقيلة .. وكانت هذه هى الكارثة خاصة عندما كان يعتقد الرئيس .. اى رئيس أن المهرج أهم كثيراً لديه من مستشاريه المتخصصين وأخلص له .. وهذه حكاية طويلة مؤكد أنك ستقابلها فيما تنتظره فى الصفحات القادمة!

□□□

٦

عبد الناصر قتل الرئيس بالنكتة

(1)

هل كان عبد الناصر يضحك ؟

قد ترى هذا السؤال غريباً.. وقد يراه البعض متجاوزاً بعض الشئ.. لكنه سؤال عادى جداً.. فعبد الناصر رغم عبقريته وتفرده ومعاركه ونضاله الوطنى.. كان فى النهاية إنسان عادى مثلنا جميعا يبكى ويضحك.. يحب ويكره.. يغضب ويسامح .. صحيح أنه لم يكن ابن نكته.. بل إنه لم يكن يتجاوب معها أو يضحك عليها بسهولة.. وأعتقد أن الذين كتبوا عن عبد الناصر ساهموا فى ترسيخ هذه الصورة عنه.. فقد تعاملوا معه على أنه قديس.. وبطبيعة الحال فإن القديسين لا يضحكون.. وكان مذهلاً لى عندما عرفت أن سامى شرف مدير مكتب عبد الناصر لسنوات طويلة لم يكن يعرف لون عينى ناصر لأنه كان لايجرؤ على النظر إلى عينه لما كانت تحملها من قوة وإقتحام ورهبة.

لن يمنعنا هذا بالطبع من التفتيش فى أوراق جمال عبد الناصر ومذكرات الذين كتبوا عنه فمن بين السطور الكثيرة تسريت خيوط يمكن أن ننسج منها شخصية عبد الناصر الضاحك .. الذى يصنع النكتة

ويلقيها على من حوله.. بصرف النظر هل كان يضحك ناصر على نكتته أم أنه كان يلقيها والسلام

■ بعد نجاح فيلم أبى فوق الشجرة قال عبد الناصر لسامى شرف: ماتروح ياسامى تشوفه فقال له: ليه يافندم؟ فرد عليه عبد الناصر: بيقولوا فيه ٢٨ بوسة!

■ بعد مظاهرات ١٩٦٨ التى خرج فيها الطلبة والعمال يرفضون سياسات عبد الناصر عُقد المؤتمر القومى العام للإتحاد الاشتراكى.. وخلاله تحدث الشيخ عاشور قائلاً: لقد تأخرت الأمة الإسلامية يوم أصبحت دولة كلامية، وحتى فى التطبيق الاشتراكى لا نجد إلا الذين يتكلمون عن الإشتراكية، فقد حضرت المحاضرات عن الإشتراكية،بيجى المحاضر راكب عربية مرسيدس تمنها ٧ آلاف جنيه وبعدين لابس خاتم يساوى ألفين جنيه، ويطلع من المحاضرة يأخذ الشلة معاه يروح المطعم يتعشوا يدفع له سبعة تمانية جنيه، وهو فى المحاضرة لسة بيقول: اربطوا الحجر على بطنكم للجوع.. جوع إيه الله يخرب بيتك.. أنت خليت فيها جوع وأنت مابتجوعش ليه.. هو الجوع مكتوب على أنا .. هى الإشتراكية علىّ وعليك لا.. لم يكتف الشيخ عاشور بذلك.. بل طالب بمنع دخول النساء إلى مسجد «أبى العباس» بالمينى جيب .. ويبدو أنه أشار بيده إشارة أضحكت الموجودين فطالبوه بالنزول من على المنصة!

لم ينزعج جمال عبد الناصر من هذا الحديث.. بل علق عليه قائلاً: الشيخ عاشور أفادنا فى إنه رفه عننا شوية وسط هذا الاجتماع.. أما

الكلام عن الميني جيب فهو غير مقبول.. لأن الكلام ده إذا إتقال في مسجد أبوالعباس والناس ضحكت زى احنا ماضحكنا النهارده تبقى العملية هزلية وليست عملية جدية.

■ في اجتماع لمجلس الوزراء وكان وقتها ثروت عكاشة وزيراً للثقافة.. قال له عبد الناصر: ريحهم ياثروت وأوقف ثورة الزنج.. أنا جالى صداع بسبب تقارير الداخلية والإتحاد الإشتراكى.. واطمئن ياثروت احنا قضينا على «الزنج».. ضحك الموجودون جميعا لأنهم فهموا إشارة عبد الناصر إلى أنه أعطى السادات أجازة ليستريح خلالها في بيته.

■ كان عبد الناصر في موسكو يجلس مع خروشوف عندما جاء وقت صلاة الجمعة.. ولأن جمال أراد أن ينهي الجلسة حتى لاتفوته الصلاة.. فإن خروشوف احتراما لشعور الضيف الديني.. أوصى مدير المخابرات في الإتصال تليفونيا بإمام مسجد موسكو ليؤجل صلاة الجمعة ساعتين فقط حتى لاتضيع فرصة الصلاة على جمال عبد الناصر ومن معه، سمع عبد الناصر ذلك فانفجر في الضحك وقال لخروشوف: إن خصومنا سيقولون أن الروس اقنعوا عبد الناصر بأن يكفر.. فرد عليه خروشوف بذعر: إذن قم ياصاحب السعادة ولاتجلب لنفسك ولنا المشاكل.

●●●

ليس معنى ذلك أن عبد الناصر كان يهوى النكتة ويرددها.. بل كان ينزعج منها بشدة لدرجة دفعته إلى أن يطلب من الشعب المصرى رسميا

وفى خطاب عام أن يقلل من النكت التى يطلقها على القوات المسلحة، كان ذلك فى أول خطاب له أمام مجلس الأمة بعد خطاب التنحى فى ٩ يونيو ١٩٦٧.. قال : إحنا من غير ما نعرف بنسمع الإذاعات ونرددها ونقول مفيش فايدة، الشعب المصرى يسمع أى حاجة وينكت عليها.. تعرفوا موجة النكت اللى طلعت فى الأيام اللى فاتت، أنا عارف شعبنا .. شعبنا طيب كده، وأنا لم آخذ الموضوع جد، وعارف الشعب المصرى كويس، ما هو أنا منه واتربيت فيه، كل واحد يقابل واحد يقول له سمعت آخر نكتة ويحكى، وممكن يستخدموها بأن تقال بعض النكت اللى تأثر على كرامتنا كشعب له طلائع قاتلت وماتت ويضيف ناصر: برضه بأقول إن موجة النكت اللى طلعت إحنا انجرينا فيها، ومافهمناش بسبب إيه النكت اللى طلعت؟ النكت اللى طلعت جرحت كرامة ناس هم ولادنا وإخواننا وأنا نفسى كنت باسمع النكت برضه، واحد يقول لى: سمعت آخر نكتة زى مابتقولوا لبعض أنا ما أخدتش من هذه النكت أبداً أى تعبير، لكن أنا عارف الشعب المصرى، دى شعب عمره ٧ آلاف سنة وقهر كل الغزاة وكسرهم وخلص عليهم وبعدين قعد ينكت، شعب له فلسفة وطنية وصلب قوى، لكنه شعب يحب النكتة، وأنا باعتبر أن دى ميزة لأنه بيفلسف بها الأمور، فإذا جه أعداءنا واستغلوا فينا هذه الطبيعة عشان يحققوا أهدافهم لازم نكون ناصحين.. كل فرد يكون ناصح..

كانت النكت التى أطلقها الشعب المصرى على جيش عبد الناصر موجعة بالفعل.. سخر من غباءه وغروره ورخاوة قواده.. وكان له الحق

فى ذلك فقد خدعوه.. قالوا له سندخل تل أبيب .. فإذا بالطائرات الإسرائيلية تحلق فى سماء القاهرة

● قال عبد الحكيم عامر لشمس بدران: مدير مكتبى ده شخص غبى، فقال له : إزاى فاستدعى حكيم مدير مكتبه وقال له: روح بيتى شفنى هناك؟ فخرج الضابط وغادر المبنى وبعد فترة عاد ليقول للمشير: للأسف يافندم سيادتك مش فى البيت، ثم أدى التحية وانصرف فالتفت المشير إلى شمس قائلاً: مش قلت لك إنه غبى.. كان ممكن يوفر المشوار ويسأل عنى فى البيت بالتليفون.

● ركب عبد الحكيم عامر سيارته ومعه شمس بدران وفجأة صاح فيه: خد بالك ياشمس حتدخل فى عمود النور، فقال شمس: لكن إنت اللى سايق يافندم.

● كان عبد الحكيم عامر فى حفل تخريج دفعة جديدة من الضباط فسأل أحدهم: تحب تخدم فين؟ فقال له: فى مكتبك يافندم، فقال له عامر: إنت مجنون؟ فرد الضابط هو ده شرط يافندم.

● بعد الهزيمة اصطحب مرشد سياحى مجموعة من السياح الأجانب لزيارة الأهرام وأثناء الشرح أراد أن يقوم بالدعاية لمصر فقال: إن مصر أقدم حضارة فى التاريخ، فكرر صدى الصوت عبارته، فقال: وهى أم الدنيا، فأعاد الصدى العبارة.. فقال : وسوف نحارب إسرائيل.. فقال صدى الصوت ساخراً: بس يا مغفل.

●●●

لم يكن عبد الناصر يضحك على النكتة.. بل كان يكتئب منها، كانت تقلقه وتفزعه وتطير النوم من عينيه.. بل إنها فى مرات عديدة دفعته دفعا إلى إتخاذ قرارات بعينها أو إبعاد شخصيات لهم قيمتهم ووزنهم عن دائرته.

● فى إحدى حفلات ليالى أضواء المدينة وقف المنولوجست أحمد الحداد يقدم فقرته.. كان عبد الناصر يسمع الحفل من غرفته.. وكانت النكتة: مواطن سافر من القاهرة إلى الاسكندرية عشان يشترى كيلو رز.. وعند طنطا قال له الكمسرى: إنت اللى عاوز تشترى رز من الاسكندرية، فقال له نعم.. فرد الكمسرى يبقى تنزل هنا، قال له: بس إحنا فى طنطا.. فقال الكمسرى: إنزل يامحترم طابور اللى عايزين يشتروا الرز بيبدأ من هنا كانت النكتة مثل اللطمة التى زلزلت كيان عبد الناصر.. وفى الصباح كان معنى النكتة قد سيطر عليه فأمر بحل أزمة الأرز فوراً حتى لايصبح هو شخصياً هدفاً للتنكيت بعد ذلك.. ولم يكن هذا غريباً على عبد الناصر، ففى إجتماعات مجلس الوزراء كان يتعامل بحدة مع الوزراء.. وأكثر من مرة قال لهم: سيبوا مكاتبكم وانزلوا شوفوا مشاكل الناس على الطبيعة.. واللى مش مستعد يتعاون يتفضل يمشى.

● كان كامل الشناوى الصحفى الكبير والشاعر الرومانسى والمتوحش الموهبة يريد أن يجرى حواراً مع عبد الناصر، وبعد تدخل هيكل حصل كامل على موعد للقاء الرئيس.. وعندما جلس كامل إلى عبد الناصر وجد أن المكان تحيط به حالة من الجدية فحاول أن ينعش الجو بنكتة أو

إفيه.. وقبل أن يبدأ قال لعبد الناصر تعرف باريس أنا وأنت بلديات.. فرد عليه ناصر: إزاى وأنا من أسيوط وإنت من الدقهلية فقال كامل بسرعة. لا أنا أقصد إننا بلديات لأن إحنا الاتنين عندنا السكر.

توقع كامل الشناوى أن يضحك عبد الناصر.. لكنه تجهم وابتعد بعينه عن وجه كامل.. ونظر لأحد موظفى مكتبه وقال له: هات قهوة سادة هنا وأشار إلى المكان الذى يجلس فيه الشناوى فى هذه اللحظة أدرك كامل أنه هالك لا محالة.. لم يعرف كيف مر عليه الوقت.. ولا ماهى الأسئلة التى وجهها لعبد الناصر ولا ماهى الإجابات التى حصل منه عليها.. وظل كامل مرعوبا حتى اطمئن أن النكتة لم تترك أثراً فى نفس الرئيس.. وكان الذى طمأنه هو هيكل أيضاً!

ويبدو أن مرض عبد الناصر كان مساحة محرمة.. فعندما كتب أنيس منصور سلسلة من المقالات فى أخبار اليوم عنوانها، وكانت الصحة هى الثمن.. أشار إلى أنه ليس هناك عظيم لا يشكو من بطنه أو من قلبه أو من عينه.. وفى أحد المقالات كتب أنيس أن الرئيس عبد الناصر مصاب بمرض «بيرجر» وإن علاجه فى مصحة «اسخا لطوبو» في روسيا كان خطأ.. استدعى حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وقتئذ أنيس منصور وقاله له: إنهم فهموا مقالك على أنك تشير إلى مرض الرئيس عبد الناصر فحاول أن تصلح هذا الظن بسرعة!

حاول أنيس منصور أن يصلح خطأه. لا أدرى لماذا اعتبروه خطأ. فكتب أن الرجل العظيم المهموم المغموم يدفع الثمن دائما من صحته

وعافيته وراحته.. ولولا أن أنيس كان يستند فيما كتب عن مرض عبد الناصر على مرجع علمى لدفع هو الثمن غاليا.. فقد كان يشير إلى أن «بيرجر» هو مرض حيث أن المريض المصاب بالسكر المسرف فى التدخين يصاب بنوع من تجلط شعيرات الدم فى ساقيه مما يجعله عاجزاً عن السير، وهذا ما أصاب الرئيس عبد الناصر تماماً!

محاولة إنقاذ أنيس منصور نفسه لاتمنعنا أن نشير إلى أنه كان يتحدث عن رئيس مهموم للغاية.. حتى الصور التى يمكن أن تضبطه متلبساً يضحك فيها ستجدها قليلة بل نادرة .. ولذلك لم يكن غريباً عندما وضعت صور عبد الناصر أمامى أبحث عن إجابة لسؤال قد تراه ليس فى محله.. وهو ياترى كيف كان يضحك عبد الناصر؟ فبعد أن ألقيت الصور جانبا سألت نفسى سؤالاً آخر، وهل كان عبد الناصر يضحك من الأساس.

مارآه فى حياته لا يجعله يضحك.. لكن المذهل أنه لم يكن يفهم النكتة أو يدرك دلالاتها.. كان يأخذها على معناها الظاهرى ويتصرف على أساس ذلك.

●●●

لقد كان عبد الناصر يعيش حياة جافة للغاية.. بل إن يومه كان شاقاً.. لم تكن لديه جلسات تجمعه مع أصدقاء من أجل تبادل الحديث الذى ينتهى بالقفشات والنكت والإفيهات.. ليس هذا عيبا فى عبد الناصر

بالطبع.. فليس عيبا أن يكون الإنسان جاداً.. أو تكون طبيعته تميل إلى الصرامة والحدة والحسم.. قد تشفق على عبد الناصر لأنه لم يكن يضحك كبقية خلق الله.. وأقصى ما كان يفعله أنه يبتسم فقط.. وكانت ابتسامته علامة رضا.

يحكى أحمد شفيق كامل المؤلف الغنائى الكبير أن البعض اعترض على كلمة فى أغنية «السد العالى» التى غناها عبد الحليم حافظ.. كانوا يرون أنه ليس من اللائق أن يقول الشاعر عن عبد الناصر ضربة كانت من معلم.. خلت الاستعمار يسلم» فكيف يقول أن عبد الناصر «معلم»، رفض شفيق كامل أن يغير الكلمة وأثناء غناء عبد الحليم وقف الشاعر يرقب إنفعالات الرئيس.. وعندما وصل عبد الحليم عند الكلمة الموعودة إبتسم عبد الناصر.. فهتف أحمد شفيق كامل بينه وبين نفسه : براءة!

الإبتسامة أحيانا كثيرة كانت مرة على شفتى عبد الناصر.. لكن هذا كان قدره الذى لم يستطع أن يهرب منه إلا إليه.

(2)

الواقعة هذه المرة حقيقية.. فقد اعتاد الكاتب والروائى عبد الحميد جودة السحار أن يمر على بائع صحف ينظر فى الصفحة الأولى ثم ينصرف وهو يقول لم يمت بعد.. استوقفه بائع الصحف مرة ليسأله عما يبحث فى الصفحة الأولى كل يوم .. فرد عليه السحار: بادور على خبر موت واحد ياسيدى، فرد البائع لكن الخبر ده تلاقيه فى صفحة الوفيات

يا أستاذ.. فرد السحار ساخراً : لا .. اللى العين عليه هينشروا خبر موته فى الصفحة الأولى

كان السحار يقصد جمال عبد الناصر وقد انتشرت النكتة حتى أنها وصلت إلى الرئيس ضمن التقرير الذى كانت ترفعه إليه الأجهزة الأمنية عن النكت التى يرددها المصريون فى الشوارع والمقاهى كل يوم.. وأغلب الظن أن السحار لم يسلم من تنكيته القاسى على عبد الناصر، وهناك علاقة تربط بين إسماعيل ياسين وجمال عبد الناصر وهذه النكتة .. و هناك أيضا حكاية طويلة بعض الشئ تصلح كمدخل للعلاقة بين الرئيس وأكبر فنان كوميدى عرفته مصر.

●●●

الكلام هنا على مسئولية أنيس منصور الذى يحكى فى كتابه «الكبار يضحكون أيضاً» يقول: سمعت من صديقى الفنان اسماعيل ياسين أنه كان يمر بتجربة قاسية جدا رغم المبلغ الكبير الذى كانت تدفعه له المخابرات المصرية، فقد كان اسماعيل ياسين بعد أن يفرغ من العمل المسرحى فى القاهرة تنتظره سيارة لكى تنقله إلى الاسكندرية إلى مستشفى المواساة حيث يرقد المشير السلال رئيس اليمن، ولايهم السلال إن كان إسماعيل ياسين قد نام فى الطريق أو لم ينم، المهم أن يجئ إليه وأن يجلس إلى جواره ويحكى له بعض النكت، وكان إسماعيل يحكى ويؤلف نكات وقفشات!

كان عذاب إسماعيل ياسين مع المشير السلال ليس أنه كان لابد أن يأتى بنكت جديدة كل يوم، ولكن السلال كان يريد أن يسمع نكتة واحدة كل يوم، فكان إسماعيل ياسين يضيف تفاصيل وحركات من عنده، زهق إسماعيل ياسين ولكن السلال لم يزهق، واقترح إسماعيل أن يسجل النكت على شريط يسمعه المشير حتى لايجئ من القاهرة إلى الاسكندرية كل ليلة ورفض المشير السلال والسبب لأن إسماعيل ياسين عندما يحكى النكتة فإنه يتحرك.. كل شئ فيه يتحرك دماغه وفمه ويداه وأهم من كل ذلك كرشه!

قرر إسماعيل ياسين ألا يذهب بلا نكت قديمة ولاجديدة حتى جاءه أحد ضباط الأمن وقال : الرئيس عبد الناصر يرجوك أن...، وقبل أن يكمل الضابط قال إسماعيل ياسين: يرجونى الرئيس ياخبر اسود.. دا أنا أروح عريان ملط ياراجل.. وإذا السلال لم يضحك فتحت فكيه وحشرت النكتة فى حلقه حتى يموت من الضحك، وذهب إسماعيل ووجد عدداً من كبار المسئولين فى اليمن فى صالون كبير، ونهض المشير وعانق إسماعيل ياسين وشكره على لطفه وذوقه وأنه ترك عمله وإنه لن ينسى له أبداً أنه كان المصدر الوحيد لشفائه العاجل وأنه أقوى من الأقراص والحقن وأن مفعوله أكيد.

تبارى الموجودون فى مدح قدرات إسماعيل ياسين المسرحية والسينمائية، وكان إسماعيل سعيداً لهذه الحفلة التى أقامها المشير امتناناً له. ونهض المشير السلال متوجها إلى إسماعيل ياسين يقول له :

أنت لاتعرف يا أخ إسماعيل وأنا قلت هذا الكلام لفخامة الرئيس عبد الناصر إنه من فضل الله أنه خلق إسماعيل ياسين.. فلولاه كانت حياته كئيبة وربما حياة كل المصريين.. وأنا أعرف إنك أرهقت نفسك كثيراً وأجدد شكرى العميق وامتنانى وأرجوك وأتوسل إليك ولآخر مرة أن تقول النكتة التى حكيتها لى مائة مرة فلم أتوقف عن الضحك.

قال له إسماعيل ياسين: ياخبر أسود يامشير نفس النكتة.. لكنه حكاها: واحد اعتاد أن يجلس على المقهى وينشر الصحيفة أمامه ثم يبصق عليها ويلقى بها على الأرض فجاءه أحد رواد المقهى وقال له : لا مؤاخذة ياأستاذ أنا لم أعرف قارئاً أغرب منك.. أنت بالضبط ماذا تقرأ فى الصحيفة وبسرعة تلقى بها على الأرض وتدوسها بالجزمة.. لقد راقبتك أسبوعين فقال له الرجل: إننى أقرا صفحة الوفيات، فرد عليه: ولكن صفحات الوفيات فى الداخل.. فقال له الرجل: أعرف ولكن اللى فى بالى لن يموت إلا فى الصفحة الأولى.

المعنى مفهوم بالطبع .. لكن أنيس منصور يعلق قائلا: والحمد لله أن إسماعيل ياسين لم يقل ولامرة إن هذه النكتة بالذات من تأليفى أنا .. وقد أخبرنى صديقى حسن إبراهيم نائب رئيس الجمهورية أن هذه النكتة قد سمعها عبد الناصر وتضايق منى كثيراً.. ولاندرى كيف نسب أنيس منصور هذه النكتة إلى نفسه بهذه البساطة.. إن كل من يرويها ينسبها لعبد الحميد جودة السحار.. لكنها الأحكام الأنيسية المنصورية التى لا يستطيع أن يردها أحداً.. خاصة أن السحار مات.. وكل من

استشهد بهم أنيس لإثبات أنه صاحب النكتة ماتوا.. السلال، وحسن ابراهيم، وعبد الناصر، وإسماعيل ياسين!

●●●

من حقك الآن أن تسأل.. وهل التقى جمال عبد الناصر بإسماعيل ياسين؟ هل جلس إليه هل تحدث معه هل استمع هو الاخر لنكته وقفشاته كما فعل السلال.. الواقع أن شيئا من هذا لم يحدث.. ولم تسجل أى صورة هذه اللحظة.. لكن ماحدث فعليا أن إسماعيل ياسين كان يتلقى تعليمات ومطالب ونصائح من عبد الناصر.. لقد قدم إسماعيل سلسلة أفلامه فى أسلحة الجيش المختلفة بتعليمات مباشرة من عبد الناصر، فقد شعر الرئيس بحاسته الفنية قدر نجومية إسماعيل وأن الناس ستحب الجيش والتطوع فيه عندما ينقله إليهم عبر فنان محبوب وخفيف الظل.. ويحكى خالد عبد الناصر الابن الأكبر لجمال أنّه ارتبط .. ولايزال بعلاقة صداقة مع أسرة إسماعيل ياسين فقد التحق ابنه ياسين بالمدرسة القومية فى مصر الجديدة عام ١٩٦٥، وكان خالد فى نهاية المرحلة الثانوية.. وبعد فترة قصيرة أصبحا صديقين يتبادلان الزيارات فى البيوت.. تعرف خالد على إسماعيل ياسين عن قرب وجلس إلى مائدة طعامه وتناول كل ما كان يشتهيه من يد زوجته.. وعندما مر إسماعيل ياسين بمتاعب صحية لم يطلب أن يتدخل الرئيس لعلاجه.. ولما سأل خالد ياسين الابن، لماذا لم يطلب والدك أن يتدخل الرئيس.. فرد عليه ياسين بحسم: إسماعيل ياسين مايعملهاش.

●●●

هذا عن العلاقة الواقعية بين الرئيس والكوميديان .. أما العلاقة النفسية فهذه مساحة أخرى.. فعبد الناصر كان مثل إسماعيل ياسين تماما .. كل منهما اشترى العتبة الخضرا .. الأول إشتراها فى السياسة والثانى إشتراها فى الفن والحياة معا .. لقد استسلم عبد الناصر لأحلام الزعامة .. ملأ الدنيا كلاماً وخطباً رنانة .. قذف فى قلوب المصريين وعقولهم أنهم أبطال وقادة وقادرين على تكسير العالم كله .. وهذا كلام جميل لاينكره أحد عليه .. لكنه تفرغ لذلك وترك البلد والأحوال فى الجيش تضرب تقلب .. وعندما وضع فى أول اختبار حقيقى كانت الفضيحة بجلاجل .. وهو نفس ماحدث لاسماعيل ياسين فى فيلم العتبة الخضرا .. لقد اشترى الأرض وماعليها .. وعندما ذهب إلى الإسعاف وقسم الشرطة والمطافى ليحصّل الإيجار فهو مالك العين .. سخروا منه وقالوا لهم : إنت وقعت ياخفيف!

ما قدمه إسماعيل ياسين كان مقبولا فالمقصود منه كان الضحك والسخرية والتسلية .. لكن مافعله عبد الناصر كان قاتلاً .. فالعتبة الخضرا التى اشتراها أ دخلتنا جميعا جهنم الحمرا .. فكل مانعانى منه حتى الآن يبدأ تحديداً من هزيمة ١٩٦٧ .. فهى الحرب التى دخلناها ولم نخرج منها .. رغم الإنتصارات والإنجازات ومترو الانفاق والكبارى .. لكننا مازلنا نعانى إنكسارا نفسياً .. أطلقت عليه النكتة التى وصلت إلى رأس الدولة .. ثم جلسنا نبكى ونتحسر على ماحدث لنا .. قال لنا عبد الناصر أنه سيتنحى فخرجنا نطالبه بالبقاء .. وعندما انفضت المظاهرات جلسنا

على المقاهى نسخر مما فعلنا وأخرجنا الشعار الشهير « أ .... أ ....» لاتنتحى.. والحروفة المحذوفة حتى لاتخدش حياء حضرتك رغم أنه من حقك أن تقولها بينك وبين نفسك الآن !

لقد طلب جمال عبد الناصر من إسماعيل ياسين رسميا أن يقدم الجيش المصرى على الشاشة حتى يحبب الناس فيه فيقبلوا عليه.. كان يريد أن يصدق الناس إسماعيل ياسين فيما يقوله ويقدمه ويأتى من حركات.. لكن على مايبدو أن عبد الناصر كان هو الوحيد الذى صدق إسماعيل ياسين وآمن به.. ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يكون الجيش الذى دخل حرب ١٩٦٧ هو جيش فى مستوى جيش أفلام ياسين .. العسكرى الذى يعانى من حالة بلاهة وتخلف وجهل يظل طول الوقت هدفا للسخرية.. وفى النهاية يأتى نفس العسكرى لينتصر ويصبح هو البطل .. والنبى ده كلام.. لقد دخلنا الحرب بجيش اسماعيل ياسين.. ولذلك كان لابد أن تكون النتيجة مضحكة للغاية!

وليس بعيداً أن عبد الناصر كان يتعامل مع أفلام إسماعيل ياسين بجدية شدة.. ولأنه كان يحيط نفسه بحالة نادرة من التجهم فليس بعيداً أيضاً أنه لم يكن يضحك على قفشات وأفيهات إسماعيل ياسين.. فالضحك عند عبد الناصر كان مجرد أداة يستخدمها لتحقيق أهدافه.. أداة مثل باقى الأدوات التى بنى بها زعامته.. ولم يكن إسماعيل ياسين نفسه مقرباً من عبد الناصر.. بل كان شخصاً لابد أن يضع موهبته فى خدمة الزعيم.. يرفه عن ضيوفه يحبب الناس فى الجيش.. وليس مهما

بعد ذلك أن يموت إسماعيل ياسين مفلساً.. وأن لايجد ثمن الدواء الذى يعالج به نفسه وألا تهتم به الدولة وتعالجه على نفقتها.. فقد انتهى دوره .. أو أدى ماعليه.. ولم تعد هناك أدنى حاجة إليه!

ستقول فوراً أن عبد الناصر كرم الفن والفنانين.. سأقول لك يُشكر على مافعله .. لكننى أرصد هنا حالة واحدة تغنى صاحبها ذات يوم بمنولوج طريف: فيه ناس بتكسب ولاتتعبش .. وناس بتتعب ولاتكسبش.. وضع نفسه وحياته فى خدمة الناس وخدمة الدولة وخدمة الرئيس.. وعندما خرج من الدنيا.. خرج منها يامولاى كما خلقتنى.. إنه نموذج للسياسة عندما تضع الضحك تحت قدميها وتجعله يدفع الثمن غاليا.. لقد عاد إسماعيل ياسين ليغنى فى الصالات كما بدأ.. ولا أدرى هل عرف عبد الناصر ذلك أم لا .. ولو كان عرفه هل حركه ضميره نحو رجل إرتدى لباس الأراجوز من أجل الزعيم ولم يجد فى النهاية أى شئ!

لم يكن مطلوبا من عبد الناصر أن يكون ضاحكاً .. فكل رئيس حر فى عضلات وشه يضبطها كيف يشاء.. يضحك .. يبكى يرسم على وجهه تكشيرة.. يشيل عبد القادر على دماغه.. لكن ليس مطلوبا أن نكون نحن ضحايا لضحك الرؤساء ولا لبكاءهم لا لغضبهم ولا فرحهم.

(3)

مات جمال عبد الناصر مرة واحدة.. لكن أسباب ذلك كانت مختلفة..

ففى التقرير الطبى الذى يسجل الحادث الحزين كتب أطباؤه: أثناء توديع سمو أمير الكويت بالمطار فى الساعة الثالثة والنصف مساء يوم

١٩٧٠/٩/٢٨ الموافق ٢٧ رجب ١٣٩٠ هجرية، شعر سيادة الرئيس بدوخة مفاجئة مع عرق شديد وشعور بالهبوط وقد توجه سيادته بعد ذلك فوراً إلى منزله بمنشية البكرى حيث حضر على الفور الأطباء ووجدوا عند سيادته أزمة قلبية شديدة نتيجة إنسداد للشريان التاجى للقلب وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات المطلوبة اللازمة بما فى ذلك استعمال أجهزة تنظيم ضربات القلب ولكن مشيئة الله قد نفذت وتوفى إلى رحمة الله فى الساعة السادسة والربع أثناء إجراء هذه الإسعافات والتوقيع كان للدكاترة رفاعى محمد كامل، ومنصور فايز، وزكى الرملى، والصاوى حبيب، وطه عبد العزيز.

وفى رأى د. أنور المفتى أحد أطباء عبد الناصر أن الرئيس أصيب بمرض السكر فى فترة مبكرة من حياته دون أن يعرف وأن المرض وصل إلى حالة خطيرة لدرجة إصابة عبد الناصر بالتهاب شريانى ينمو ويزداد فى الأعضاء كلها وسيؤثر ذلك على قواه العقلية.. وقال المفتى ذلك لأحد أصدقائه فقد حكى أن عبد الناصر وقع تحت ضغط عربى شديد وأن تصرفاته غير طبيعية نتيجة ذلك. وكانت تظهر عليه أعراض عصبية ونفسية تجعل تصرفاته غير منضبطة.. وخلص المفتى من ذلك إلى أن الحكام يجب أن يخضعوا لكشف طبى دورى للتأكد من صلابتهم الجسمانية والنفسية.. ومن بين مايقال أن المفتى دفع ثمن ثرثرته حيث قتلته الأجهزة الأمنية بالسم!

وهناك من يرى أن عبد الناصر قتلته السجائر.. فقد كان يدخن ٨٠ سيجارة فى اليوم وقد علمه عبد الحكيم عامر هذه العادة عندما كانا ضابطين حديثى التخرج ويسكنان معا فى السكاكينى بمنطقة الظاهر، وكان فى البداية يدخن من علبة سجائر عبد الحكيم ، ثم أصبح يشترى سجائره ومع ازدياد الأعباء تزايد عدد السجائر ولأنه كان يستمتع بالتدخين فلم تقتصر على نوع واحد، وفى بداية الثورة لاحظ الدبلوماسيون الأجانب أنه يفضل سجائر «كنت» الأمريكية.. وبعد حرب السويس تحول إلى سجائر «كرافن» الانجليزية.. وقبل أن يقلع نهائياً عن التدخين سنة ١٩٦٨ كان قد تحول إلى السجائر المصرية، وفى تلك الفترة بدأ الملح يخفف من الطعام وبدأ الفحص الشامل يصبح عادة أسبوعية.

أنصار نظرية المؤامرة ألقوا بمسئولية قتل عبد الناصر على شخص بعينه هو على العطفى.. وقبل أن تسأل من هو على العطفى أقول لك أن ناصر أصيب بجلطة فى ساقه اضطرته للسفر إلى «تسخا لطوبو» فى الاتحاد السوفيتى لإجراء جراحة عاجلة، وبعد عودته كانت معه توصية باجراء جلسات علاج طبيعى فقامت رئاسة الجمهورية بترشيح الدكتور على العطفى لهذه المهمة.. وكان على العطفى متزوجاً من سيدة إيطالية اشتهرت فى الأوساط الرياضية باسم «ولتيا» وكانت دائمة السفر إلى روما لزيارة أسرتها وهناك نجحت المخابرات الإسرائيلية فى تجنيدها والاتصال بها وتسليمها مرهماً خاصا ليقوم زوجها باستخدامه فى تدليك

ساق عبد الناصر، وقد تشربت المسام المرهم الممزوج بالسم فأدى ذلك إلى إصابة الرئيس بأزمة قلبية أنهت حياته.

●●●

كل هذه قد تكون أسباب وجيهة فى كتابة كلمة النهاية لحياة عبد الناصر التى كانت مليئة بالقلق والتوتر والتجهم والمؤامرات.. لكن هناك سبب آخر قد يكون لعب دوراً فى التنكيد على عبد الناصر وتعكير صفو أيامه فقد كان يعتقد أنه قدم كل مالديه للشعب المصرى، وبدلاً من أن يقف الشعب المصرى إلى جواره ويسانده سخر منه وبدأ فى التنكيت عليه.. وهذا بعض ما حدث.

● تخفى عبد الناصر كى يتفقد أحوال الناس فسمع موظفاً يقول لزميله أن راتبه ينتهى فى اليوم العاشر من الشهر وسأله زميله؟ وكيف تعيش باقى أيام الشهر؟ فقال له : أعيش على الستر، فأصدر جمال عبد الناصر قراراً فى اليوم التالى بتأميم الستر.

● عثر على تمثال فرعونى احتار علماء الآثار فى تحديد أصله فاقترح جمال عبد الناصر إرساله إلى المخابرات لكشف غموضه وبعد ساعات قالوا له: لقد تأكدنا أنه تمثال رمسيس الثانى، فسألهم كيف؟ فقالوا، اعترف بنفسه ياأفندم.

● وفى الستينات قابل فيل أرنبا على الحدود فسأله الأرنب: على فين؟ فرد الفيل: سأهرب من البلد، فقال الفأر، ليه؟ فرد الفيل: لأنهم يحبون الفئران، فقال الفأر: لكنك فيل مش فأر.. فرد الفيل ساخراً : أيوه لكى إزاى أثبت لهم كده!

يمكن أن تضحكك النكتة أو تمر عليها مرور الكرام.. لكنها كانت تصيب جمال عبد الناصر بالدوار.. كانت ترهق أعصابه.. كان كثيراً مايشعر أن الشعب المصرى ناكراً للجميل.. والدليل أنه ورغم كل ماقدمه له من تضحيات لايقابل ذلك بالشكر أو العرفان بالجميل.. سهام السخرية تصله حتى غرفة نومه.. وقد يكون عبد الناصر علم مبكراً أن الشعب المصرى ينسج علاقته بالألهة والقديسين وأولياء الله الصالحين والزعماء على مزاجه الخاص فهو يحبهم ويعشقهم ويمرغ وجهه على أعتابهم.. لكن لايمنعه ذلك من أن يسخر منهم وينكت عليهم ويجعلهم فرجة لكل أهل الله.. ولذلك صبر على النكت التى كانت تصله.. لكنها كانت تغضبه بدليل أنه لم يكن يرددها فى جلساته، كان يقرأها ثم يطويها متحسراً على ما يحدث.

لكن كيف كانت النكتة تصل إلى جمال عبد الناصر؟ مفتاح الإجابة هذه المرة عند صلاح نصر مدير المخابرات المصرية أيام ناصر.. فقد كانت من بين مهامه أنه كان يجمع النكت التى تتردد فى الشارع المصرى ويضعها فى تقارير دورية ثم يرفعها إلى الرئيس الذى كان يقرأها بعناية شديدة.. ولم يكن صلاح نصر ينسى أن يضع فى التقرير النكت التى كان يصنعها رجال عبد الحكيم عامر وذلك أثناء الصراع الهائل الذى دار بين رئاسة الجمهورية والقوات المسلحة) كان كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يتصارعان على من تكون له السيطرة.. وفى الصراع استخدم كل منهما الأسلحة المكنة وغير المكنة وكانت النكتة سلاح

فتاك فرغم أنه يفجر ضحكات لكن كانت له أنياب وأظافر يجرح بها ويترك آثار لايستطيع الزمن أن يمحوها.. لقد كان عبد الناصر منتشياً بحب الشعب المصرى له وإقباله عليه.. فهو الشعب الذى هتف له ورفعه على أكتافه وخرج فى مظاهرات كى يطالبه بالبقاء.. فجاءت النكتة بهذا الشعب من قفاه ووضعته أمام عبد الناصر وقالت له إن الشعب يكرهك وينكت عليك ويسخر منك ولولا أن عبد الناصر يعرف طبيعة الشعب المصرى ويقدرها لمات كمدا مما قيل عنه وتردد عليه.. لقد سخرت النكتة من ديكتاتورية عبد الناصر وتسلطه وجبروته.

• التقى صديقان قال أحدهما للآخر: هل علمت أن فلاناً خلع ضرسه من فمه فسأله صديقه: ولماذا لم يخلعه من فمه فرد عليه قائلا: هو حد يقدر يفتح بقه؟

سألوا مصرى وسودانى وعراقى .. مارأيك فى أكل اللحمة؟ فأجاب المصرى يعنى إيه لحمة، وأجاب السودانى، يعنى إيه أكل، وأجاب العراقى: يعنى إيه رأى!

والنكتة واضحة فعبد الناصر الذى قال أنه حرر الناس من الاحتلال عادوا واستعبدهم مرة أخرى.. وعبد الناصر الذى وعد بأن يعوض المصريين عن أيام الاضطهاد والجوع حرمهم من أكل اللحمة للدرجة التى لايعرفونها فيها من الأساس.

●●●

الغريب أن عبد الناصر كان يضحك فى الأوقات غير المناسبة.. والواقعة يرويها محمود الجيار سكرتير عبد الناصر فى مذكراته يقول: فوجئت بالرئيس عبد الناصر مساء ٨ يونيو يأمر بإعداد سيارته للذهاب إلى القيادة ونزل من غرفته وقد تحول إلى شخص آخر مختلف تماما شديد المرح منعم بالسعادة متشوق إلى المزاح.. وكنت أرتدى بوشرتا عسكريا وهو زى يشبه الأفرول فإذا به يمد يده إلى فتحة الزى ويسحب من تحته فانلتى إلى أعلى ويضحك.

كانت حالة عبد الناصر بالنسبة للموجودين فى مقر قيادة الجيش مفاجأة.. لقد كان يبتسم ويتبادل معهم الضحكات والافيهات وكان السؤال الذى اقتحم الجميع وجعلهم فى حيرة من أمرهم: هل يمكن لإنسان فى مثل مسئوليته أن يبتسم فى مثل هذه الظروف.. لم يستوعب أحد ماكان يراه بعينيه، لكن هذا ماحدث فعلا.. قد تكون هذه محاولة من عبد الناصر لأن يقاوم الهزيمة بالضحك لكن مافعله لم يكن مناسباً.. لأن الظرف نفسه لم يكن مناسباً كذلك!

■■■

لقد اهتم الجميع بحالة عبد الناصر الصحية.. لكن أحداً لم يهتم بحالته المزاجية.. وهذا موقف لابد أن يروى، فبعد وفاة عبد الناصر زار وفد مصرى الصين وعندما قابلوا شواين لاى.. سألهم لماذا مات جمال عبد الناصر! فؤجى الوفد بالسؤال صدموا من المنطق الذى صيغت به كلماته.. فلا أحد فى مصر يسأل لماذا يموت الناس. لم يرد أحد على

السؤال الصدمة حتى يمر دون تورط منهم فى إجابة غير طبيعية، لكن شواين الذى كان رئيساً لوزراء الصين كان مصراً على توريطهم فقال لهم : متى ولد عبد الناصر؟ فأجابوا فى ١٥ يناير ١٩١٨ .. فسألهم ومتى مات؟ فقالوا ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، فقال! إذن فقد عاش ٥٢ سنة و٨ أشهر و١٢ يوماً .. ثم قال مندهشا؟ هل هذا يمكن؟ شعر أعضاء الوفد بالحيرة تتوالى عليهم فقالوا كما يقول المصريون فى هذه المواقف.. هذه مشيئة الله، فقال لهم : لاتحملوا الله مسئولية ما نفعل لابد من سبب، لقد مات عبد الناصر شابا فى الـ ٥٢ سنة سن صغيرة إننى الآن فى الثانية والسبعين ولا أزال أعمل وفى صحة جيدة، إننى لا أستطيع أن أتصور كيف مات وكانت تتوافر له أفضل العناية الطبية، كيف سمحتم له أن يموت.. وأضاف شواين لاى أن عبد الناصر مات من الحزن والقهر .. مات كسير القلب.. أما الذنب فهو ذنب الاتحاد السوفيتى فقد خدعه السوفيت ودفعوه إلى مأزق ثم تخلوا عنه وتركوا فؤاده يتحطم وينكسر!

قال شواين لاى كل ماعنده بصراحة.. لكنه لم يقل ما فعله الشعب المصرى بعبد الناصر وقد يكون ذلك لسبب بسيط أنه لم يكن يعرفه.. فقد كان لنا دور كبير للغاية فى الحزن الذى كسا قلب عبد الناصر وكسره قسونا عليه وحملناه أكثر من طاقته حولنا أعماله إلى نكت نتندر بها وعليها وعليه.. ولم ننس أنه قدم كثيراً من أجلنا .. وعلى مايبدو أنه لم يكن يضحك فى وجوهنا لأنه كان يعتقد أننا لانستحق حتى ضحكاته .. وأظن أن هذا صحيح!

2

السادات
النكتة فى غرفة
نوم الرئيس

(1)

لم يضبط أحد الرئيس السادات فى جلسة كيف، ولم يقل أحد ممن عاصروه أنه جلس إلى الرئيس وهو يحشش مثلا - وحتى الصورة الوحيدة التى يمكن أن تصبح دليلاً على أن الرئيس السادات كان صاحب كيف ليست كافية لإثبات ذلك .. الصورة موجودة فى المركز الثقافى اليمنى فى شارع شهاب بالمهندسين.. ويجلس فيها السادات مع بعض المسئولين اليمنيين أثناء زيارته لليمن وهو يخزن معهم القات.. تخزين القات فى اليمن ليس جريمة رغم أنه يلقى معارضة شديدة هناك.. ومن يؤيدونه يرون فيه منبها قويا يمكن أن يعينهم على مايلاقونه فى الحياة من المتاعب، أما لماذا لايمكن الاعتماد على صورة القات.. فلأنها تعتبر صورة عامة بدليل نشرها وتعليقها ضمن معرض صور فى المركز اليمنى.. لكن لا أحد يستطيع أن يزعم أن لديه صورة للرئيس وهو فى الوضع متكيفاً!

لم يمنع ذلك أن يصر المصريون على أن الرئيس السادات كان رجلاً صاحب مزاج.. أو أنه كما يقول أولاد البلد دماغه متكلفة.. واستندوا فى ذلك إلى قراراته وطريقة إدارته للدولة وتصرفاته التى لا يمكن أن تصدر

إلا من صاحب مزاج وقعدات حظ تحدث فيها تجليات لايمكن أن ينكرها أو يتنكر لهـا، ولأن للمصريين طريقتهم فى كل شئ ففى الوقت الذى يقدرون فيه السادات لعبقريته التى مصدرها المزاج فإنهم يهاجمونه من نفس الباب على إعتبار أن قعدات المزاج الهوائى أو المائى كانت تتناقض مع مـا أعلنه السادات عن نفسه من أنه الرئيس المؤمن .. وأن دولته هى دولة العلم والإيمان.

عبد الله امام أحد منتقدى السادات الكبار سجل فى كتابه «حقيقة السادات» أنه فى بداية السبعينات وبينما السادات يجلس مع وزير الخارجية السوفيتى شكا له من السفير السوفيتى فى القاهرة، انزعج السفير بشدة وسأله عن السبب، فقال السادات: لأن كميات الفودكا التى ترسلها إلى بيتى قليلة ولاتكفى.. فرد السفير قبل أن يعلق وزير الخارجية قائلا، ولكنى أعتقد أن الفودكا التى نرسلها لك كافية جدا ولاينقص إلا أن نوصل خط أنابيب فودكا بين السفارة وبيتك.. ولايترك إمام هذه الواقعة التى أكد أن لها شهود عيان رووها له دون تعليق حيث يقول أن السادات كان يشرب الفودكا بالنهار لأنها بلا رائحة بينما يشرب الويسكى قبل أن ينام.. ولا أملك ما أشكك به فى رواية عبد الله إمام ولكن أذكرها هنا بدون نفى أو إثبات.

وفى دراسته المهمة عن النكتة حاول عادل حمودة أن يوحى من طرف خفى إلى غرق السادات فى قعدات المزاج لدرجة جعلت الشعب كله يعرف ذلك عنه.

• خرج السادات ليشم الهواء على الطريق الزراعى فوجد غرزة فدخلها فمد أحدهم إليه الجوزة قائلا: مساء الخير فتناول الجوزة وسحب نفساً ثم أعادها لصاحبها الذى سأله. والأخ بلا أفيه بيشتغل إيه؟ فرد: أنا رئيس الجمهورية فضحك الرجل قائلا : كده من أول نفس.

لم يدفع حمودة بالنكتة وحدها ولكنه استعان بأشعار أحمد فؤاد نجم ليؤكد صورة السادات التى بنيت على أنه كان رئيس صاحب مزاج ففى قصيدة بيانٍ هام يقول نجم: نقدم إليكم.. ولاتقرفوش .. شحاته المعسل بدون رتوش.. يأفين .. يبلبع حبوب.. ويفضل يهلفط ولاتفهموش .. بسم الله .. سلام عليكم.. وسلمون وموز.. وأما المسائل فهنجف ولوز .. مساء التنفس .. مساء الروايح.. سلام عليكم بصفتى رئيسا وأبا وجوز، وفى قصيدته عن الإنتخابات إختار نجم للسادات اسم العيسوى يقول عنه : بشرى لجميع الحشاشة.. العيسوى بيه رمز الماشة ـ سبحان الله من أمياشة.. بقى كل الأمن العام فى إديه.. العيسوى بيه .. من أجل ضمان الحرية.. لجميع تجار الباطنية .. العيسوى بيه ميه الميه حيخلى القرش بريع جنيه! لا عبد الله إمام ولا عادل حمودة إمتلك دليلاً على أن السادات كان يفضل جلسات المزاج، لكنهما إنساقا وراء الصور التى إرتاح الشعب لرسمها للرئيس السادات.. والتى كان السادات نفسه سببا فيها. فقد سمح للصحف أن تنشر عنه أخباراً غير منطقية بالمرة.. كان يرى من وراءها أنه يربح إعجاب الشعب به.. لكنه ربح من وراءها سخريته.

• فوجئ موظف السويتش بمصر الجديدة بصوت على الخط يقول له أنا أنور السادات أى خدمة، وكان موظف التليفونات فى شركة مصر

الجديدة للكهرباء يتلقى بلاغا من أحد المواطنين بانقطاع الكهرباء ثم فوجئ بصوت يدخل فى الخط قائلا أيوه يا ابنى أنا أنور السادات أى خدمة،، والخبر من جريدة الأخبار فى ٢١ فبراير ١٩٧٦.

• فوجئ فلاح وزجته وأولاده ينتظرون الأتوبيس بسيارة تقف على طريق الاسماعيلية وتطلب توصيلهم وكان يقودها الرئيس السادات الذى خرج وحده دون أن يعرفه أحد وركب أفراد الأسرة السيارة دون أن يعرفوا أن قائدها أنور السادات وفى السيارة تبينت شخصية الرئيس فحيته الأسرة وهنأته بالعيد وكان حديثا عائليا طويلا مع طول الطريق.. والخبر من جريدة الأهرام فى ٢ ديسمبر ١٩٧٦.

• كلف الرئيس أحمد سرحان - شقيق محافظ بورسعيد - وهو من سكرتارية الرئيس الخاصة بشراء تليفزيون ملون صغير ١٤ بوصة من بورسعيد إلا أن الجمارك حصلت عليه الضريبة الجمركية وقد شكا الرئيس السادات لرئيس الوزراء من أن الجمارك خربت بيته.. والخبر هذه المرة من الأهرام فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٧.

العيب طبعا ليس فى الصحف التى نشرت هذه الأخبار - رغم أنها تحمل جانبا من الخطيئة - لكن المسئولية تقع هنا على كاهل الرئيس الذى سمح بأن تنشر هذه الأخبار والتى كانت تصل إلى درجة النكت التى تفجر الضحكات الساخرة أكبر من ابتسامات الإعجاب والانبهار فالرئيس عندما يشترى تليفزيون ملون لا يكون ١٤ بوصة ولا يدفع عليه

جمارك أيضا .. إلا إذا كانت هذه تمثيلية اعتقد الرئيس أن الناس يمكن أن تصدقها.

●●●

كان الرئيس السادات يعطى الفرص لمنتقديه أن ينالوا منه .. فبعد أن وصف نفسه فى أحد خطبه العلنية أنه مثل عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين وإنه إمام عادل .. التقط الوصف الشيخ المحلاوى شيخ الاسكندرية الشهير والذى أدخله السادات السجن بعد ذلك وقال عنه أن مرمى زى الكلب.. سخر المحلاوى قائلا: إن السادات ليس إمام عادل.. ولكنه عادل إمام .. فى اشارة إلى أن السادات يصلح لأن يكون ممثلا كوميديا مثل عادل إمام وليس إماما عادلا مثل عمر بن الخطاب.. ولم يفلت الشيخ كشك هذه الواقعة حيث قال موجها كلامه للسادات: إننى أتلفت حولى فلا أجد إمام عادل.. ولكنى فقط أجد عادل إمام.

●●●

قد يكون الرئيس السادات قد جلس فى قعدات مزاج فى بدايات حياته .. أيام كان هاربا ومشرداً وضائعا بلا مأوى، خاصة أنه اختلط فى هذه الفتر بفئات من الشعب تعيش بالمزاج ولا تستطيع أن تتخلى عنه.. لكنه وبعد أن أصبح فى دائرة الضوء لم ينتظم فى هذه الجلسات.. لكنه لم يستطع أن يتخلى عن عادته فى التدخين .. حيث لم يكن يترك البايب من يده ليلاً ولا نهاراً.. مالا يستطيع أحد أن ينكره أن السادات كان

صاحب مزاج فنى عال جدا.. للدرجة التى دفعته إلى أن يطلب من مساعديه ذات ليلة أن يأتوه ببليغ حمدى حتى يعزف له بعض التقاسيم على العود.. وللدرجة التى جعلته أيضا يصطحب معه وهو فى كامب ديفيد أثناء مباحثات معاهدة السلام أفلام فريد الأطرش وسامية جمال لأنه كان يعشقها . وقد تسأل : معقول السادات عمل كده .. فأقول لك ومن غيره يقدر يعملها!

(2)

عندما قدم أحمد زكى شخصية السادات فى فيلمه «أيام السادات» غضب منه بعض محبى السادات على إعتبار أنه قدم الرئيس بشكل كاريكاتورى.. فجلس الناس ليشاهدوا منولوجستا يقلد السادات وليس ممثلا قديرا يصنع شخصية من لحم ودم لرئيس مصرى حقق انجازات وأحرز بطولات.. فى الوقت نفسه فرح خصوم السادات بما فعله زكى لأنه جعل من الرئيس السادات مسخرة يتندر عليها الصغير والكبير مقلدين نبرة صوته وحركات شفتيه وهو يتكلم ويخطب وخاصة أمام الكنيست الإسرائيلى.

●●●

واقع الأمر أن أحمد زكى لم يبتعد كثيرا عما كان يفعله السادات.. فأداء الرئيس كان مسرحياً طوال الوقت بل إنه حاول أن يحترف التمثيل فى بداية حياته لكنه فشل .. وقد يكون هذا سبباً مباشراً لإهتمام

الرئيس السادات بالفنانين وتكريمه لهم وخاصة نجوم الكوميديا منهم.. بل إنه أحاط نفسه بعدد من صناع الضحك والنكت في مصر وكانوا يصلون إلى غرفة نومه حتى يرفهوا عنه ويسمعوه آخر ما وصلهم أو قاموا بتأليفه وصنعه من نكت، وفى هذه المساحة تحديداً يظهر حمادة سلطان المنولوجست الأشهر والأهم فى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات وما يؤكد أن حمادة سلطان كان قريبا جدا من السادات أنه كان وراء بعض المواقف السياسية التى ظهر فيها السادات لايدرى بما يدور حوله.

■ حكى حمادة سلطان للرئيس السادات ذات مرة ..أن اثنين بلدياتنا قعدوا يلعبوا شطرنج واحد منهم جه يحرك العسكرى رفض إلا لما يرمى له بريزة.. لم يفهم السادات النكتة.. فدلالتها عنده كانت غائبة للغاية.. لم يضحك السادات كعادته وسأل حمادة: تقصد إيه بالنكتة .. تلخبط المنولوجست الشهير لقد اعتقد أن الرئيس السادات يعرف أن عساكر المرور لايتركون سيارة تمر إلا بعد أن يلقى لهم السائق عشرة قروش فضة.. عندما أخبر السادات بذلك قال له الرئيس : أخ .. بقى الحكاية كده وبدلاً من أن يأمر الرئيس بأن يتم تعديل أحوال عساكر المرور بما يجعلهم لا يلجأون لذلك .. اكتفى بإصدار أوامره بمنع العساكر من أن يقوموا بذلك مطلقاً.

لم تكن لحمادة سلطان مواعيد محددة يقابل فيها الرئيس السادات.. بل يمكن أن نطلق عليه «منولوجست تحت الطلب» ، حيث كان السادات

يطلبه فى أى وقت ليحكى له آخر نكتة.. ومن يعرفون حمادة سلطان جيداً يؤكدون أنه عندما كان يعجز عن تأليف نكت جديدة .. كان يقوم بشراء النكت ممن يقومون بتأليفها.. لأنه كان حريصا للغاية على أن تكون النكت التى يسمعها الرئيس طازجة.. لأن السادات نفسه كان شديد الملل.. فلا يضحك على نكتة مرتين كما أنه يجيد إلقاء النكت بطريقة كاريكاتورية.. تجعلك إن لم تضحك على النكتة تضحك على إلقاء الرئيس لها.

ولحمادة سلطان نكت عديدة سمعها منه السادات وضحك عليها.

● اثنين صعايدة كل يوم يروحوا جنينة الحيوانات ويقفوا قدام قفص النسر فاستغرب الحارس وقال لهم: نفسى أعرف إيه حكايتكم مع النسر، قالوا له : نفسنا نعرف بيختموا بيه إزاى.. وفى اليوم التالى مباشرة أصدر السادات أمراً بتغيير شعار الجمهورية من النسر إلى الصقر.

● مسطول خاف يروح أحسن مراته تعمل له قلق.. فقال أبات فى لوكاندة والصبح أقول لها كنت مطبق فى الشغل، راح لوكاندة وسأل صاحبها: عندكو أودة فاضية، قال له مفيش غير أودة فيها واحد ضابط لوحده والسرير التانى فاضى ممكن تقضى فيه الليلة وتدفع نص أجرة، قال له زى بعضه بس تصحينى بدرى، فقام المسطول من النوم قبل ما صاحب اللوكاندة يصحيه ولبس بدلة الضابط غلط وهو ماشى بيحسس على نفسه قال: يانهار أسود الراجل صحى الضابط وسابنى نايم.

● اثنين مساطيل قابلوا بعض فى الشتا فواحد سأل التانى إنت عينك مغيمة كده ليه قال له: باين عليها حتمطر.

كان السادات يضحك كثيرا على هذه النكت .. لكنه كان يرفض النكت الجنسية أو التى فيها تعبيرات وإيحاءات وقد غضب من حمادة سلطان كثيرا عند سمع منه هذه النكتة.

● واحد بيقول للتانى أنا شفت مراتك ماشية مع واحد كهربائى.. قال له يا أخى ده لاكهربائى ولابيفهم حاجة فى الكهرباء.

كان الرئيس السادات قبل الثورة يعرف معظم ظرفاء عصره، بل كان صديقا لهم.. لكنه بعد أن أقامت الثورة وأصبح أحد المسئولين فيها اختار لنفسه ندماء آخرين ويحكى محمود السعدنى الذى ترك مصر عام ١٩٧١ لاختلافه مع السادات إنه قابل الرئيس فى إحدى الدول العربية بعد انتصار أكتوبر، سأله السادات، إنت كنت فى جريدة السفير ياوله؟ فقال السعدنى نعم .. فرد السادات.. وكتبت تسعين مقال على وجه التحديد وهاجمت فيها كل شئ ولم أمس شعرة واحدة من رأسك.. والآن أقول لك براءة ياوله.. ثم نظر السادات للسعدنى قائلا، بس إنت لسانك وسخ قوى ياوله وعاوز قطعه وكان عثمان أحمد عثمان موجودا فقال، ده مش يستاهل قطع لسانه بس ده يستاهل قطع رقبته.. فنظر السعدنى لعثمان وقال له: أوعى تشتم ياعم عثمان أنا بأحذرك الرئيس بس هو اللى يشتم.

كان السادات يتعامل مع رفقاءه القدامى الذين تعرف عليهم على المقهى فى ميدان الجيرة بقسوة.. لقد وقع قرار بفصل زكريا الحجاوى بنفسه من الجمهورية رغم أنه كان صديقه ولم تفلح شفاعة محمود السعدنى عنده.. بل قال له عندما فاتحه فى موضوع الحجاوى: إخرس قطع لسانك.. مش عاوز اسمع الاسم ده تانى.. لم يطرد السادات الساخرين القدامى ويكتفى بذلك بل قرب إليه ندماء آخرين كانوا مصدر تسليته وعينيه اللتان يرى بهما العالم.

أنيس منصور يأتى على رأس قائمة الندماء الجدد للرئيس.. كان الرئيس يقرأ أحدث الكتب التى تصدر فى العالم من على لسان أنيس.. ولعل إقتراب أنيس منصور من السادات جعله مصدرا ثريا للنكت التى كان يقولها السادات ويرويها عن نفسه وهذه بعضها.

● أثناء زيارة السادات لإسرائيل سلم على جولدا مائير قائلا لها: مرحبًا بالسيدة العجوز.. وعندما أصبح السادات جدا أرسلت له جولدا برقية تهنئة قالت له فيها، مبروك للرجل العجوز.. وكأنها كانت تقول له واحدة بواحدة.

● كان السادات يتعشى فى جزيرة بريونى على مائدة الرئيس تيتو فأرسل إلى أنيس منصور وعندما اقترب منه قال له: شايف يا أنيس كمية الكافيار اللى بيأكلها تيتو وكمية الزبدة وده كله كوليسترول ومع ذلك صحته بمب أدرس لى الحكاية دى يا أنيس.. أنا عارف أهتمامك بموضوع الصحة والأكل.

قرب السادات إليه كذلك فايز حلاوة الممثل الكوميدى الذى لم يترك بصمة واضحة اللهم إلا فى المسرح من خلال فرقته المسرحية التى كونها بعد حرب أكتوبر مع زوجته الراقصة تحية كاريوكا.. وكان فايز حلاوة يجمع النكت التى يلقيها السادات والموجودن فى مجلسه يضعها فى مسرحياته وكان السادات سعيدا لذلك جدا.. فهو لايشاهد المسرحيات الكوميدية فقط ولكنه يشارك فى تأليفها.. وقد تكون هذه إحدى سمات عبقرية السادات.

(3)

لم تكن العلاقة بين الرئيس السادات والشيخ الشعراوى علاقة وزير برئيس. الشعراوى ظل وزيراً للأوقاف عامين وستة شهور .. لكنها كانت علاقة خاصة فيها حالة من الإعجاب المتبادل بين الرجلين لأن كلا منهما كان يحمل جزءا من الاخر.. وإن كان هذا لم يمنع السادات أن يضحى بالشيخ الشعراوى عندما اصطدم بأحد رجال الرئيس فى وزارة الأوقاف .. فقد كان الشعراوى عزيزا على السادات.. لكن أصدقاء السياسى كانوا أعز عليهم من غيرهم.

فى سطور العلاقة بين الشيخ والرئيس مواقف وقفت على حد السخرية والضحك.

● حضر الشعراوى حفلا فنيا مع الرئيس السادات.. ولما ظهرت بعض الراقصات على المسرح إنحرف الشعراوى بوجهه قليلا حتى لا يرى ما

يدور على المسرح. وانتبه السادات لوضع الشعراوى .. فأرسل إليه ممدوح سالم الذى كان رئيساً للوزراء وقتها.. وقال له: قل للشيخ الشعراوى الريس بيقولك إتعدل.. وعندما سمع الشعراوى الكلام نظر إلى ممدوح سالم قائلا: أنا برضه اللى اتعدل ياسى ممدوح.

● سأل الرئيس السادات الشيخ الشعراوى: هل صحيح ياشيخ شعراوى أنت لاتقعد على مكتبك فى الوزارة وإنك تتركه وتجلس بعيد على كرسى إلى جانب الباب تستقبل زوارك وموظفى الوزارة وأصحاب الحاجات الذين يقصدونك، فرد الشعراوى : أيوه ياريس الكلام ده صحيح باقعد على كرسى خرزان جنب الباب.. فقال السادات: وإذا كانت هناك ورقة تحتاج توقيعك فأين توقعها.. فقال الشعراوى: وأنا مكانى على الكرسى الخيرزان.. ولما كان لابد لما يفعله الشعراوى من حكمة فسأله السادات: وأنت بتعمل كده ليه فرد الشعرواى، علشان يبقى الباب قريب وساعة ماترفدونى أجرى وأقول يا فكيك .. اتعتقت!

● سافر الشيخ الشعراوى وهو وزير للأوقاف إلى ايطاليا فى مهمة رسمية.. وقبل السفر قابل اثنين من الوزراء، عبد العظيم أبو العطا وزير الرى وتوفيق عبد الفتاح وزير التموين.. قالوا له: حتسافر إيطاليا بكره يامولانا؟ فقال لهما، إن شاء الله تعالى، فقالا له، إيطاليا مشهورة بالجزم المتينة الكويسة إللى فيها ذوق وكل واحد مننا عاوز جوزين اسمر وبنى والمقاسات مكتوبة فى الورقة دى .. أخذ الشعراوى الورقة وقال لهما طيب،، سافر الشيخ وقام بمهمته وكانت وضع حجر أساس للمركز

الإسلامى والمسجد الكبير الملحق به فى ايطاليا واشترى الجزم وبالمرة اشترى لنفسه جوزين اسمر وبنى.. ولما رجع مصر أعطى لكل وزير الجوزين بتوعه وفى أول اجتماع لمجلس الوزراء وكان فى قصر عابدين دخل عبد العظيم أبو العطا فلمح السادات الجزمة الجديدة فسأله الجزمة الشيك دى منين ياعبد العظيم فقال له: من مولانا الشيخ الشعراوى إشتراها لى من ايطاليا.. شوية ودخل توفيق عبد الفتاح فلمح السادات جزمته فسأله فأجاب نفس الإجابة.. وعندما دخل الشعراوى الاجتماع لاحظ أن السادات لاينظر إلى عمامته لكن ينظر إلى جزمته التى كانت قديمة فى هذا اليوم فسأله: أمال فين الجزمة الايطالى بتاعتك ياشيخ شعراوى نظر الشيخ إلى عبد العظيم وتوفيق عبد الفتاح وفهم الشعراوى معنى السؤال فقال له :والله ياسيادة الرئيس شايلها فى البيت علشان المقابلات الرسمية!

لكن كيف تعرف الشعراوى على السادات.. هذه حكاية قديمة حدثت فى بيت الدكتور محمود جامع الذى كان ولايزال أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين.. وكان فى نفس الوقت صديقا مشتركا للاثنين الشيخ والرئيس، وقتها كان السادات نائبا لعبد الناصر.. ولم يكن يتردد كثيرا على بيت الدكتور جامع إلا عندما يكون فى أزمة مع عبد الناصر أو بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة وهم كثيرون .. ويحكى الشعراوى أنه فى المرة التى عرف فيها السادات كان أولاد الدكتور جامع وهم صغار موجودون وكانوا يضحكون ويلعبون حول السادات ويركبون على كتفه وكان خالد

يشير بإصبعه إلى زيبية الصلاة فى جبهة السادات ويسأله: إيه دى ياعمو؟ ولم يكن يجب السادات.. لكنه كان يكتفى بالضحك فقط!

هذا الموقف تحديدا نسجت عليه نكتة تسخر من المظهرية التى كان يتعامل بها السادات فى كلامه ومظهره العام، والنكتة تقول خرج السادات من بيته مسرعًا ثم عاد فجأة فسألته زوجته إيه .. فيه إيه؟ فقال: نسيت حاجة مهمة.. فسألته: نسيت إيه؟ فقال لها زبيبة الصلاة!، فقد حرص على تصدير نفسه للناس على أنه الرئيس المؤمن.. ولم يكن يتردد فى نشر صوره وهو يصلى أو وهو يقرأ القران.. لكن الناس سخروا من ذلك وتعاملوا مع علامة الصلاة التى فى جبهته على أنها علامة عيرة!

وكما كان الشيخ الشعراوى خفيف الظل وابن نكتة وإن كان من كتبوا عنه تحفظوا فى نشر النكت التى كان يصنعها ويلقيها حفظا لصورته وحفاظا على هيبته فإن الحكاءين الذى كتبوا عن السادات لم يترددوا عن نشر نكته وطرائفه والتى كانت نتاج مواقف بعينها.

● أنجبت زوجة السادات الأولى السيدة إقبال ماضى ابنته كاميليا بعد طلاقها منه فذهب السادات للإطمئنان على ابنته وعندما كشف الغطاء عن وجه ابنته كاميليا السمراء قال ضاحكا وليه تعبتى نفسك ياإقبال وجبيتها شكلى، فقالت له بغيظ وغضب: لازم تكون شكلك وشكل أيامك السودا فضحك لها السادات وقال: حمد الله على سلامتك ثم انصرف مسرعاً.

● أخبره موسى صبرى مرة بأن أحد الوزراء حصل على كابنتين فى المعمورة وكابينة ثالثة فى المنتزه وأن الناس بدأوا يتحدثون عن فساده.. فنظر إليه السادات وقال، نتانة ياموسى.. تعمل إيه فى البشر.

●●●

الغريب أن بعض جمل السادات كانت تتحول إلى نكت فى الشارع المصرى.. كانت ترتد إليه بسرعةالصاروخ كنوع من الانتقام لأن الكلام ليس منطقيا أو ليس صحيحاً.

● عندما قال لمعارضيه .. حافرمكم فرم قالوا أن الجزارين يفكرون فى رفع دعوى قضائية على الرئيس السادات لأنه سينافسهم فى أكل عيشهم.. لكن السادات لم يستسلم فتحدى الجزارين وكتب على رئاسة الجمهورية «حاتى السادات».

● وبعد أول استفتاء على السادات لرئاسة الجمهورية شكر كل من قال نعم وشكر كل من قال لا .. وخرجت النكتة أن السادات خطب قائلا.. أشكر الذين قالوا نعم .. والذين قالوا لا .. أما أمه نعيمة فأشكرها مرتين لأنها قالت نعمين.. وأمه نعيمة هى بطلة الأغنية الشهيرة التى نادت عليها المطربة قالت لها أمه نعيمة فردت عليها: نعمين.. فألحت المطربة عليها أن تخليى عليوة يكلمها.

لايعيب السادات أنه كان رئيس ابن نكتة. فهو فى النهاية من هذا الشعب الذى يضحك على كل شئ.. فإن لم يجد ما يضحك عليه ضحك

على نفسه وسخر منها إنك تشعر بالحميمة وأنت تقرأ عن السادات أو تكتب عنه.. فهو مثل صديق.. صحيح أنه يحمل درجة رئيس جمهورية لكنه فى النهاية صديق، لايكذب عليك بأساطيره.. ولا يخدعك بمعجزاته.. فعليك أن تأخذه كما هو .. دون أن تتعب نفسك فى فهمه أو فك طلاسمه.



3

مبارك
إفيهات السيد الرئيس

(١)

ينتظر المصريون اللحظة التى يتخلى فيها الرئيس مبارك عن نص خطاباته المكتوبة منطلقا ليتكلم على سجيته وبراحته كما يقولون.. فعندما يخرج على النص يصبح أكثر قربا منهم وحدثيا بلسانهم وإقتحاما لمشاكلهم من زيادة الأسعار إلى البطالة.. ومن أزمة السكان إلى حالة الاختناق التى أصبحت تحيط برقبة الجميع.. لقد هاجم الجميع حوار عماد الدين أديب مع الرئيس وغفلوا عن شئ مهم جدا وهو أن هذا الحوار تحديدا كشف جانبًا مهماً لم يكن أحدا يعرفه عن الرئيس الذى قضى حياة جادة فى القوات المسلحة منذ تخرجه من الكلية الجوية عام ١٩٤٨ وحتى الآن.

ظهر الرئيس مبارك مع عماد الدين رجلا خفيف الظل متواضعا لايدعى البطولة ولايقول أنه كان وراء كل الأحداث العظيمة التى شهدتها مصر منذ الثورة وحتى الآن .. وظهرت كذلك رغبته التى لم تتحقق فى أن يعيش حياة بسيطة وهادئة.. فقد كان يطمع فى أن يصبح سفيرا فى إحدى الدول الأوروبية، وخاصة إنجلترا.. ولما سأله عماد ولماذا انجلترا بالتحديد قال له لأنها بلد إكسلا نسات.. لكن الأقدار حكمت عليه

بالشقاء .. وهو شقاء اعتقد أن الرئيس مبارك لم يغضب منه أو يكرهه.. فقد أصبح به رئيسا لأهم دولة عربية ولمدة طويلة للغاية.

●●●

يعرف المقربون من الرئيس مبارك أنه رجل منضبط للغاية .. مواعيده يتم تحديدها حسب جدول بالدقيقة والثانية لكن لا أحد يضبط الرئيس وهو ينكت فشخصيته الصارمة تجعله بالكاد يستطعم النكتة ويضحك عليها بتحفظ.. لكن ذلك لا يمنع أن للرئيس افيهاته التى ألقاها فى مواقف مختلفة وعلى مرأى ومسمع من الجميع.

● عندما كان الرئيس مبارك يفتتح معرض الكتاب فى إحدى دوراته.. دخل واحدة من دور النشر الكثيرة وبالصدفة كانت متخصصة فى نشر الكتب الاقتصادية.. وفيها وقف صاحب دار النشر يعرض الكتب الموجودة.. امسك الرئيس بأحد الكتب ونظر لمن حوله قائلا لهم : الغريبة إن عندنا كتب اقتصاد كثيرة جدا .. وأساتذة اقتصاد بالكوم.. ومع كده الأقتصاد عندنا بعافية شويتين.

● فى أحد خطبه التى تحدث فيها عن المشكلة السكانية داعب الشعب المصرى بما يجيده.. فحل المشكلة يأتى عندما يرفع كل مواطن رجله.. وكان يقصد أن الناس تنجب كثيراً وليس عليهم إلا تخفيف لقاءاتهم الحميمة.

● الإفيه الأعلى كان عندما سألوا الرئيس مبارك .. عما يقوله للمواطن المصرى البسيط.. فقال بتلقائية. أقول له ربنا معاك.. ردد

الناس ونعم بالله نعم، لكنهم أحسوا أن المشكلات التى تواجه مصر أكبر من سيطرة مؤسسة الرئاسة بنفسها.. ولذلك فالرئيس يسلم أمره لله..

•••

وإذا كان الرئيس مبارك ليس ابن نكتة فإنه لايغضب منها ولايعاقب من يبدعها حتى لو اقتربت النكتة منه شخصيا.. ويحكى مصطفى حسين رسام الكاريكاتير الأشهر أنه قام فى احد أعداد مجلة كاريكاتير التى يرأس تحريرها برسم غلاف للمجلة عبارة عن صورة الرئيس مبارك وهو يرتدى شورتا للحكم ورسم الدكتور مصطفى الفقى الذى كان سفيرنا وقتها فى النمسا كمراقب خط أول.. ورسم الدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس مراقبا للخط الثانى.. رفضت الرقابة الترخيص للعدد بالصدور .. وأصرت على موقفها.. لم يجد مصطفى حسين مخرجاً من هذا المأزق إلا أن يرسل العدد إلى الرئيس حسنى مبارك حتى يحكم بنفسه.. وفعلها د. مصطفى الفقى حمل نسخة من المجلة إلى الرئيس الذى اطلع عليها وابتسم ابتسامة عريضة ووافق على نشر الغلاف وصورته عليه بدون أى تحفظات.

ويبدو أن الابتسام هو وسيلة الرئيس مبارك الوحيدة للتعبير عن إعجابه بنكتة معينة.. فهو لا يقهقه ومثله فى ذلك مثل الرئيس عبد الناصر الذى كان يبتسم ابتسامة بسيطة.. أما الرئيس السادات فكان يضحك ويقهقه كلما أعجبته نكتة سمعها.. أو القى نكتة وسمعها غيره.. ومن بين مايؤكد أن مبارك يكتفى بالابتسام أن أحداً ممن يحكون عن

الرئيس مبارك لم يقل لنا أن الرئيس ضحك فى أى موقف من المواقف.. يقولون أنه يبتسم فقط، أنيس منصور حكى كثيرا عن مواقف مضحكة جمعت بينه وبين الرئيس مبارك.. فقد اتصل به الرئيس وقال له أنا عازمك على الغدا .. ولما عرف أنيس أن الدعوة فى بيت بطرس غالى قال للرئيس : بطرس غالى ماعندوش أكل ياريس.. ده كان عنده فرخة ومقسمها مربعات زى استاد القاهرة وبقى له دلوقت سنتين فى منطقة الجزاء !

ضحك الرئيس على ما قاله أنيس ورواه لبطرس غالى الذى كان جالسا أمامه فرد بطرس بأن أنيس أكل عنده فى البيت خمس مرات .. ثم دار حوار بعد ذلك بين أنيس والرئيس:

أنيس: ياريس بطرس غالى كان عنده طباخ بياخد مرتب زى مرتب الوكيل الأول للخارجية.

الرئيس : أسامة الباز قاعد قدامى أهوه

أنيس : آه كان بياخد مرتب أسامة الباز.. ولما لم يجد لا أكل ولا شرب عند بطرس ترك البيت

الرئيس : يعنى مفيش أكل

أنيس : أبدا ياريس

الرئيس : طيب يا أخى اعزمه إنت.

أنيس : طول عمرى بأعزمه ياريس

انتهت مكالمة الرئيس مع أنيس منصور ليجد السيدة «ليا» زوجة بطرس غالى تتصل به وتعاتبه وتقول له: يا أنيس أنت عاوز الرئيس يفصل بطرس.. أو يوديه فى داهية: فرد عليها أنيس، ياست الريس ده مايوديش حد فى داهية ماتخفيش.

•••

لست أدرى بالضبط ماذا يقصد أنيس منصور من روايته لهذه الحكاية.. يريد مثلا أن يقول أنه على علاقة وثيقة بالرئيس.. فهذا أمر طبيعى ولا يحتاج إلى تأكيد فأنيس كاتب كبير ولاغرابة فى أن يكون بينه وبين الرئيس اتصال .. هل يقصد الاشارة إلى إنه لا زال يلعب بعض دوره الذى كان يلعبه أيام السادات.. وهو ادخال البهجة والسرور على قلب الرئيس.. قد يكون ذلك وارداً أيضا.. لكن المؤكد أن الرئيس مبارك ليس له ندماء .. وليست لديه جلسات يتبادل فيها القفشات مع أصدقاء أو نجوم كوميديا.. بل إن الرئيس فى هذه النقطة متحفظ إلى درجة بعيدة.. فهو لايبدى إعجابه بفنان بعينه.. ولا يعلن أنه يشجع ناد رياضى معين.. لأنه يعتبر ذلك انحياز منه لجهة بعينها.. وهو لا يحب أن يكون منحازا .. فهو فى النهاية رئيس لكل المصريين.. ولابد أن يشعر الجميع أنه مهتم بهم جميعا.

لا أستطيع أن أجزم بما يحدث فى جلسات الرئيس.. فالمعاصرة حجاب كما يقولون.. ثم إن كل الذين اقتربوا من دائرة الرئاسة لايتحدثون إلا بحساب وقد يسمح الزمن بحكايات كثيرة ترسم ما حدث..

وحتى يأتى هذا الوقت فإن الأمر لا يتعدى الإشارة إلى أن الرئيس مبارك بالفعل رجل بشوش من صوره ولقاءاته وأحاديثه التليفزيونية لايغضب.. ولاتسيطر الحدة على ملامح وجهه.. قد يحزن .. وتعلو وجهه علامات المرارة عندما تحيط به المشاكل التى لامخرج منها.. وقد يكون ذلك كله بتأثير تكوينه المهنى.. فالطيارون يجب أن يسيطروا على أعصابهم حتى النهاية.. وقد تكون جدية حياة مبارك العسكرية وجفافها وانضباطها قد علمته ألا يضحك إلا بحساب ولا يبتسم إلا عند الضرورة.. وعندما يريد أن يعلق على شئ تعليقا ساخراً فإنه يفعل ذلك بحساب.. لأنه يدرك أنه فى النهاية رئيس جمهورية ولابد أن يكون له وقاره وهيبته.. ولأنه يعرف الشعب المصرى جيداً.. ويعرف شهوته الطاغية للتنكيت على كل وأى شئ.. فقد ضبط انفعالاته وردود فعله حتى لا يتحول إلى مادة للتنكيت فى الشارع المصرى الذى يغضب من الرئيس إذا طغى وتجبر عليه ويسخر منه إذا تهاون معه وجعل بينهما البساط أحمديا، حاول الرئيس مبارك أن يمسك العصا من المنتصف.. فلا يخاف المصريون منه مثل عبد الناصر.. ولايجعلون رأسه برأسهم ويسخرون منه مثل السادات.. وأعتقد أن فى هذه المساحة تحديدا.. تسكن قدرة الرئيس مبارك على الاستمرار فقد عامل المصريين بما يحبون وليس بما يريد هو!

(2)

لم تكن مرت سوى أيام قليلة على دخول أحمد الليثى مكتبه فى وزراة الزراعة حتى جلست معه.. لأول وهلة اعتقدت أنه رجل حاد وصارم

وجاف.. لكن بعد دقائق اكتشفت أنه ابن نكتة.. لايترك كلمة إلا ويعلق عليها .. وبعد أن إلتقط له زميلى المصور صلاح الرشيدى عدة صور وأراد أن ينصرف .. قال له الوزير بود: استنى يا ابنى .. حلى بقك .. نظرت إلى ما كان يضعه الوزير أمامه فلم أجد قطعة حلوى واحدة.. قلت له : يحلى بقه بإيه ياسيادة الوزير وكل اللى قدامك مالح.. فقال لى : ياسيدى مادقش.. يعنى لو قلت له حلى بقك وخد حاجة طلعت مالحة حتفرق..

كان أولاد الحلال قد أشاعوا أن أحمد الليثى الذى جاء فى حكومة نظيف خلفا للدكتور يوسف والى رجل عجوز ومهدم ولا يرى شبراً أمامه وعندما يقرأ يستخدم عدسة مكبرة.. لكن الرجل لم يكن كذلك أبدا .. فقد كان خفيف الحركة مع ما يبدو من وزنه الثقيل .. نظره سليم وإذا كان يرتدى نظارة فكل الوزراء يرتدون نظارات.. خرجت من لقاء الليثى وأنا على ثقة أن هناك صورة يحرص الوزراء على رسمها لأنفسهم فى الصحف وبرامج التليفزيون أرضية وفضائية.. لكن هذه الصورة تتبدل تماما عندما يخلو الوزير إلى نفسه أو يجلس مع بعض أصدقاءه أو يريد أن يتحدث على راحته.

●●●

هذه المقارنة التى تحكم عمل الوزراء وحياتهم .. تجعلهم فى أحيان كثيرة يخرجون عن الاطار ويعبرون عما يريدونه بعيداً عن خنقة الرسميات .. والمواقف التى جرت على أيديهم كثيرة.

● فى لقاء حلف اليمين اجتمع الوزراء جميعا قبل الدخول على الرئيس .. وبينما يراجع كل منهم نص القسم الذى سيلقيه بعد قليل.. نظر وزير مخضرم قضى سنوات عديدة فى الوزارة إلى وزير شاب دخل الوزارة للمرة الأولى .. بينما الوزراء منهمكون فى المراجعة فإذا به يقول بصوت عال: حتى أنت يا أبو «شخة» بقيت وزير.. وقبل أن يتلقى رداً أو تعليقاً على ماقاله أعطى للجميع ظهره ثم انصرف!

● جلس أحد الوزراء فى اجتماع مغلق مع عدد من الصحفيين.. بدا عليه الضيق فى البداية .. وبعد دقائق خلع حزام بنطلونه قائلا: لا مؤاخذة ياجماعة .. البنطلون ضاغط على القولون بتاعى وأنا راجل صاحب مرض.

● كان معروفا عن أحد الوزراء أنه دخل مصحة نفسية فى الخارج لمدة ستة شهور.. ولما سأله أحد الصحفيين عن ذلك قال له : صحيح يا ابنى كنت بتعالج نفسياً لكن الحمد لله ربنا شفانى المشكلة فى الوزراء اللى كلهم أمراض نفسية ومفيش واحد فيهم عاوز يتعالج!

● هذا الوزير نفسه كان فى زيارة رسمية إلى إحدى الدول الأوربية.. وبينما يسير هو والمسئول الأوروبى إذا به يطلب منه أن يتوقف بالسيارة فى الشارع.. وعندما توقفت السيارة نزل منها مسرعا واتجه إلى جانب بعيداً عن المارة وقضى حاجته.. وعندما عاد إلى السيارة وقبل أن يبدى المسئول الأوروبى دهشته.. قال له الوزير المصرى أعمل إيه كنت معذور.

● بعد أن وصل الوزير إلى منصبه تزوج على زوجته أم أولاده وكانت العروسة الجديدة جميلة وصغيرة وعندما عرفت زوجته اشتكت إلى إحدى صديقاتها التى كانت هى الأخرى زوجة وزير .. قالت لها يرضيك يتجوز علىّ والمشكلة إنه لما يسافر باريس ياخذها معاه.. ولما يسافر العين السخنة يأخذنى أنا معاه.. ضحكت زوجة الوزير صديقتها وقالت لها : معلش .. بس ده التطور الطبيعى للستات.

●●●

ورغم أن الوزراء عندنا يقعون فى مشكلات ضخمة.. فإنهم لايحاولون حلها بالمنطق .. لكنهم يحاولون الخروج منها بفهلوة أولاد البلد المصريين، حضرت لقاء مع أحد الوزراء الأقوياء فى وزارة د. أحمد نظيف.. كانت الصحافة قد حاصرته هو ورجاله بإتهامهم بعقد صفقات تربح من مواقعهم .. وكانت هذه الجلسات من أجل أن يدافعوا عن أنفسهم .. ترك الوزير رجاله يتحدثون فى البداية .. لكن يبدو أن كلامهم ودفاعهم عن أنفسهم لم يعجب الوزير فكشر عن أنيابه وبدأ فى استعراض قوته وأنه حاسم فى حل كل المشكلات التى تتعرض لها وزراته .. وضرب لنا مثلا على ذلك عندما اعتصم بعض موظفيه فى مكاتبهم .. أرسل لهم أن يفضوا الاعتصام بالتى هى أحسن وإلا فليس عنده إلا التى هى أسوء ولما رفضوا ذهب إليهم بنفسه وقال لهم : إنتم فاكْرين نفسكم بتشتغلوا مع مين .. «على الحرام من دينى» أخليكم تربوا كتاكيت تحت مكاتبكم.

ولما سألنا الوزير عن الصفقة التى تورط فيها رجاله وعن الوسيط فيها وجدنا أحد مساعدى الوزير يقول أن هذا الرجل لا أحد منا يعرفه .. وأنه جاء مع صديق له وكان يجلس معنا ولما وجد أن أحدا لايهتم به ولا يعيره اهتماما لم يحضر مرة ثانية.. قلت له : ده كلام مش منطقى لأن الراجل ده مش قاعد على قهوة بلدى.. ده قاعد مع مسئولين كبار.. وبعدين الناس لو قاعدين على قهوة بلدى ودخل عليهم شخص غريب حيسألوا مين ده.. فما بالك وإنتم قاعدين فى اجتماع رسمى .. رد مساعد الوزير ببساطة وسذاجة وقال والله هو ده اللى حصل!

لم نقتنع بما قاله مساعد الوزير لكن لم يكن أمامنا إلا أن نصدقه وفجأة قال رجل آخر من رجال الوزير، إحنا لازم نحول ملف الصفقة كلها للنائب العام وهو يحقق فيها علشان ميبقاش فيه أى شك فى أى حاجة بنعملها.. فرد عليه الوزير بغضب شديد.. نحول الصفقة للنائب العام إيه .. مش لما نعرف مين الراجل اللى كان بيقعد معاكم ده.. نروح نقول للنائب العام إيه بس .. نعرف إحنا إيه اللى حصل الأول وبعدين نقول للنائب العام حقق.

ماحدث كان مشهداً عبثيا لكنه حدث بالفعل وهو يشير إلى أن الوزراء عندنا يغرقون فى شبر مية.. وبدلاً من أن يتصرفوا بحكمة فإنهم يلجأون إلى الحيلة وإيهام الآخرين بأنهم على صواب وإذا ضاقت بهم الدنيا فإنهم يصدرون رجالهم كى يحملوا عنهم مشاكلهم .. وهم فى ذلك لا

يختلفون عن معلمين الباطنية الذين يضحون بصبيانهم ويتكفلون بأولادهم حتى يخرجوا من السجن.

وزير آخر كنا نجرى معه حواراً فى نهار رمضان.. تردد فى البداية أن يطلب فنجانا من القهوة لكنه فى النهاية طلب .. وعندما كان المصور يلتقط له بعض الصور لنشرها مع الحوار .. قال له حاسب اوعى فنجان القهوة يطلع فى الصور .. الناس تقول على إيه .. الوزير فاطر.. لكن الوزير هدأ بعد أن قال له أحد الموجودين ياسيادة الوزير متخافش .. وبعدين لو حد قال إن الوزير فاطر فى رمضان نقدر نقول له: ليس على المريض حرج.. فضحك الوزير .. وقال والله فكرة.

•••

المفاجأة أن بعض الوزراء الجادين والمسئولين الكبار الذى يرسم لهم صورة تغلب عليها ملامح الهيبة والوقار يقومون بأدوار أخرى غير متوقعة بالمرة.. فأسامة الباز الذى يعمل منذ فترة طويلة مستشارا سياسياً للرئيس وعمرو موسى الذى قضى فترة طويلة من حياته فى السلك الدبلوماسى وعشر سنوات من عمره وزيراً للخارجية ثم خرج من الوزارة إلى جامعة الدول العربية.. كل منهما كان يجمع النكت التى تتردد فى الشارع المصرى عن السياسة وعن الرئيس.. وفى جلسات خاصة كان كل منهما يروى النكتة للرئيس .. ورغم الهيبة الشديدة التى تبدو على عمرو موسى.. لكن من يسمعه يلقى النكت يشهد بإنه بارع جداً فى القاء النكت ويمتلك طريقة رائعة تضفى على النكتة روحاً وحيوية.. لكن عمرو موسى

ومنذ عمل أمينا عاما للجامعة العربية وبحكم أن جلساته مع الرئيس أصبحت نادرة للغاية فلم يعد يقوم بهذا الدور.. هذا فى الوقت الذى لا يزال فيه أسامة الباز يجمع النكت ويرويها للرئيس بصوته المميز وطريقته الكوميدية.

هذا الدور الذى يقوم به عمرو موسى وأسامة الباز لايتنافى تماما مع أدوارهما السياسية المهمة .. لسبب بسيط للغاية أن كلا منا يحمل بين جانبيه شخصتين .. شخصية جادة يصدرها أثناء قيامه بعمله .. وشخصية يعيش معها على راحته يعمل فيها كل مايريده وما يرغبه وليس من حق أحد أن يلومه على ذلك .. وعليه فإننا لا نعيب على أسامة الباز أو عمرو موسى دورهما كمضحكاتية فى بلاط الرئيس .. لكننا نرصد فقط دوراً يقومان به.. وهما بالطبع أحرار فيه.

4

الرئيس فى المـرآة

■■

عندى هواية قراءة الوجوه وتأمل تفاصيلها ومطاردة منمنماتها.. ومن وقت لآخر أضع أمامى صور رؤساء مصر من محمد نجيب مرورا بعبد الناصر والسادات إلى حسنى مبارك .. كل منهم حالة بمفردها.. حالة صنعتها قرارات ومعارك وكواليس قد لا يعرفها أحد حتى الآن، مالفت انتباهى أن كل رئيس حرص أن تكون صورته يرى الناس جميعا وعلى اختلاف مستوياتهم أنفسهم فيها، فإذا بحثت عن القوة فلها صورها .. وإذا بحثت عن البساطة ستجدها منتشرة وبكثرة .. وإذا بحثت عن اهتمام الرؤساء بالبسطاء أو مايريدون تصديره على أنه اهتمام بالبسطاء - فستجد عند كل منهم صورة تجمعه بمواطن بسيط يسلم عليه أو يجلس إلى جواره أو يضع يده على كتفه أو يستوقفه ليتحدث معه.

لا أقول أنها صور مصنوعة على أعينهم، لكن ما خرج من أسرار مؤسسة الرئاسة فى عهودها المختلفة يؤكد أن الصور التى تنشر للرؤساء تخضع لاختيار دقيق.. فكل صورة لابد أن تؤدى معنى معينا وتحقق هدفا محدداً.. فلا شئ يترك للصدفة.. وقد أثارت صور عديدة أزمات عديدة مع الرؤساء. لكن الأزمة فى كل مرة سرعان ما كانت تتلاشى لأن حسن النيات فى كل مرة هو الذى يقود إلى الخطأ.

عندما وقعت فى يدى دراسة د. عزة عزت عن صورة الرئيس اعتقدت أنها ستخضع الصور التى نشرت للرؤساء للدراسة والتحليل وتخرج منها بدلالات هائلة عن الحالة النفسية لكل منهم .. لكنها اكتفت فقط بدراسة صور الرؤساء مما نشرته الصحف عنهم ومما قالوه هم عن أنفسهم.. تعجبت لأنها استبعدت صور مبارك من الداسة .. قد تعلل ذلك بأن المعاصرة حجاب كما يردد الأكاديميون دائما.. فهناك معلومات لم تنشر بعد صورة الرئيس مبارك.. ولذلك من الأفضل علميا أن يتم تأجيل الحديث عنها الآن.. لكن سياق الدراسة كان يتحمل الحديث عن الرئيس مبارك .. خاصة أن له أحاديث عديدة وأجريت حوارات متعددة مع معاونيه .. كان يمكن أن تستعين بها د. عزة لترسم لنا صورة الرئيس مبارك ولن نطالبها بما لا نعرفه لأنها من المؤكد لاتعرفه أيضا.

□□□

الرئيس الطيب

حرص الرئيس محمد نجيب على صنع صورة لنفسه تقدمه للشعب على أنه طيب وهادئ وأب حان رغم أنه قدم لأول مرة للشعب المصرى بوصفه قائد ثورة وزعيم حركة عسكرية .. وكانت الصحف والإذاعة - وسائل الإعلام المتاحة وقتها - تركز على أن له قلبا طيبا فيه خضرة الوادى وصفاء جوه .. ويؤدى الصلاة فى المساجد الشهرية التى تضم رفات أولياء الله الصالحين وآل البيت وسط جموع المصلين بتواضع شديد، وإنه كان كريما وودودا مع عامة الشعب، لا يأنف من الجلوس إلى جوارهم والتربيت على أكتافهم وكأنه واحد منهم .. رغم الاشارة إلى أنه سليل أسرة عسكرية عريقة.

ونتيجة تركيز الصحف على هذه الصفات اكتسب نجيب شعبية كاسحة حتى قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية كان يلقب فى البداية بـ «اللواء محمد نجيب بك» و «سعادة اللواء نجيب بك» .. ولقبته الأهرام بجندى مصر الأول ونشرت عنه قصة تعكس مدى نزاهته، حيث تلقى «غليونا» انجليزيا هدية من مجهول، لكنه أصر على دفع الرسوم الجمركية عنه .. أضافت الأهرام كذلك ملمحا لشخصية نجيب وهو أنه لايحب تمييز

نفسه عن الشعب .. فتحت عنوان : «الرئيس اللواء محمد نجيب يسمح بتفتيشه بقصر القبة» نشرت الأهرام هذا الخبر: زار الرئيس اللواء محمد نجيب أمس قصر القبة لمشاهدة مافيه من تحف وقد حدث أن لاحظ عند خروجه أن الحراس يفتشون الخارجين، فلما أقبل على الباب تراجع الحراس احتراما له، فما كان منه إلا أن أصدر أمره إليهم بتفتيشه كما يفتشون سائر الزائرين، فرضخ الحرس أمام اصرار الرئيس وفتشوه. وهكذا يلقى الرئيس كعادته كل يوما درسا جديدا فى المساواة والنظام.

وبعد ١٨ يونيو١٩٥٣ عندما أصبحت مصر جمهورية ظهر عدد ضخم من المقالات فى الصحف الغربية فى ذلك الوقت تشير إلى أن الكثير من خارج الحدود يتساءلون : كيف يقود مصر هذا الضابط المرفه المنعم الذى لاتفارق السيجارة الدانهيل فمه وأطلقوا عليه اسم كرومويل المصرى.. هذه الأسئلة تؤكد أن صورة الرئيس محمد نجيب لم تكن على خيرما يرام فى الخارج كما كانت فى الصحف المصرية التى تروج له.. كما إنها فى إطارها الضيق داخل تنظيم الثورة كانت قد بدأت تهتز!

الإعلام كان خادعا للغاية .. فقد ركزت الصحف على نشر صور نجيب وهو يواسى المرضى فى مستشفى أميرى ببنها وطنطا مثلا أو وهو يداعب طفلين والابتسامة لاتفارق شفتيه.. وكأن هذا تعليق الصورة المنتشرة.. وكان التعليق غالبا يحمل عبارات بها قدر هائل من المبالغة وذلك لتأكيد أن الرئيس له شعبية كاسحة .. والحقيقة أن نجيب كان يحظى بشعبية كبيرة لكنها لم تكن بالقدر الذى صورته الصحف.. ودليل

ذلك كان فى نشر صورتين لسيدتين تلتقطان صورا وتحتها عبارة تقول: أخذت هاتان السيدتان الحفاوة التى لقاها الرئيس من الشعب فهرعتا لالتقاط مظاهر ابتهاج الشعب.. والدليل على المبالغة أيضا ما كتب تحت صورة للرئيس نجيب وهو داخل سيارة مكشوفة وصفين الناس من مرتدى الجلاليب والطريق خال تماما فى حين كان كلام الصورة يقول : سدت جماهير الشعب الطرق ولم تترك مجالا محدودا لمرور سيارة الرئيس وهى فى طريقها إلى بنها «ويرى الرئيس اللواء محمد نجيب وهو يحيى الشعب وحوله لفيف من مرافقيه» وعبارة أخرى تحت صورة كبيرة منشورة على ٧ أعمدة تقول: خرجت طنطا عن بكرة أبيها لاستقبال الرئيس..

إلى جانب هذه الصورة حاولت الصحف أن تشير إلى تواضع الرئيس .. فى العيد الأول للثورة أشارت إلى صفات نجيب الإنسانية فهو الرئيس الذى ينبرى لإغاثة الملهوف.. ومحمد نجيب يدعو لحياة الرجولة ويمقت التبرج والخلاعة.. وهو يأكل الفول والطعمية ويحنو على المريض المكلوم ويحب جيرانه ويبعد عن الترف ويكره الوساطة والتوصية ويعمل ١٨ ساعة فى اليوم على الأقل.. وهو نفس ما قد يبعد ذلك عن بعض الرؤساء فى اشارة إلى دأبهم فى العمل وسهرهم على مصالح الشعب لكن بعد أن تم تحديد إقامته فى فيلا زينب الوكيل بالمرج تحولت الصورة من الملاك الطيب إلى الشيطان الرجيم .. وهكذا الأيام دول..

□□□

الرئيس الهيبة

بدأ عبد الناصر فى رسم صورة من نقطة ما قبل الصفر، حيث كان أقل رجال الثورة شعبية وجماهيرية.. يؤكد ذلك هيكل يقول : حقق محمد نجيب شعبية كبرى واغترف كل المجد بينما عبدالناصرخلف الصفوف فى الظل يفكر دائما ويبدو للناس رجلا عبوسا وهكذا اسيئ فهمه.. لكن سوء الفهم هذا ازيل تماما عندما أصبح هناك سكرتير صحفى للرئيس تمر من خلاله كل ملامح وسمات صورته، فهو يراقب ماتكتبه وسائل الإعلام المحلية والخارجية وتعطى توجيهات بما يمكن أن يحسن الصورة أو يصحح مايشوبها من تظليل أوتشويه.

السكريتر الصحفى كان له دور بالتأكيد.. لكن صورة عبد الناصر صعدت وتعملقت لأسباب أخرى تتعلق به .. كانت الكاريزما التى تمتع بها عبد الناصر تمكنه من التأثير والقدرة على حشد الجماهير حول أية فكرة أو قضية .. وقد تمثلت الكاريزما فى مظهره المهيب وقامته الفارعة وعينيه العميقتين وقدراته الخطابية المثيرة وصوته الجهورى ومصريته الخالصة .. وقد قربه شكله المصرى من القلوب قبل العقول.

كانت الصورة التى رسمت لعبد لناصر قوية وصادقة ولذلك كان من الصعب العبث بها بعد وفاته رغم الهجمة الإعلامية الشرسة التى تعرض لها خلال عصر السادات.. ويمكن رصد سمات عبد الناصر التى صاغتها وسائل الإعلام المختلفة فيالشجاعة والقوة والشدة فى الحق وكراهية العنف وكراهية الفساد والقدرة على التأثير وبعث الأمل فى النفوس والانحياز للفقراء والتصاقه بشعبه والإيمان القوى به فأصبح موضع ثقتهم لتميزه بالاستقامة وطهارة اليد والنزاهة والصدق والخلق الحميد والاصالة والتدين دون تزمت والتواضع والبساطة مع بعد عن اللذات المادية فهو محافظ أسريا رغم أنه نصير للمرأة وهو أب للجميع كما أنه يتسم بالعدل ورفض المحاباة ويتميز بالاخلاص والوطنية والحس القومى والحسم والقدرة على التحدى والتمسك بالكرامة وهو زعيم ملهم وعبقرية فذة قاردة على صنع المستحيل ويتمتع بقدرة خطابية وطلاقة فى الحديث ولديه استعداد أدبى وقوة شخصية وقبول وحسن مظهر ومهابة، وهو بطل أسطورى ولذلك أصبح رمزاً أكثر منه بشراً.

أهم ما قالته د. عزة عزت: صورة عبد الناصر الذهنية لدى العرب عامة .. لا بل وحتى الشباب منهم من غير معاصريه تظهر فى الملمات التى يشعر فيها المواطنون بالعرى واليتم النفسى، فيظهرون احتياجهم إلى وجوده ويكفى أن المظاهرات التى اجتاحت العواصم العربية والعالمية ابان العدوان الأمريكى على العراق كان معظمها ترفع صور عبد الناصر كرمز من رموز التحرر الوطنى والقومية العربية، الأمر الذى يعكس امتداد ملامح محببة فى صورته الذهنية حتى بعدوفاته!

الكلام صحيح لكن حدث تغير ملحوظ فى صورة عبدالناصر.. فقبل سقوط بغداد كان أى حدث عن عبد الناصر قادرا على ترويج أى صحيفة.. بل إننا كنا نلهث حول أسرار حياته التى لم تنشر بعد لتكون عامل جذب.. وكانت أى صورة من صوره تساعد بشكل كبير على لفت الانتباه لأى صحيفة.. لكن الآن لم يعد الحديث عن عبدالناصر جذابا.. بل أن وضعه فى صدور الصحف لم يعد جاذبا.. بحثت عن تفسير لذلك فالشهية الصحفية نفسها التى كانت تعتمد عبدالناصر تضاءلت، ولم يكن لدى تفسير سوى أن عبد النصر كان بالفعل رمز للمقاومة والبطولة.. وكانت بغداد هى آخر معاقل المقاومة ولما سقطت .. سقطت آخر قناعة بعبدالناصر.. أحس المتظاهرون أنه خذلهم وخدعهم طويلا فصمتوا.. ولم تعد الصورة التى كان يشع منها نور عينيه تجذب أحدًا.. وهذا مجرداجتهاد.

□□□

الرئيس الهيلهى

كان الرئيس السادات حريصا للغاية على صوره التى تنشر له.. لكن يمكن القول إنه كان فى معظم صوره رئيسًا «هيلهيا» والكلمة يعرفها الشارع المصرى فالرجل الهيلهى يتصرف بطبيعته دون تكلف.. ولو لم يكن الرئيس السادات كذلك ما ظهرت صوره وهو فى بيته يحلق ذقنه أمام المرآة وهو يرتدى ملابسه الداخلية.. وهى الصور التى أثارت أزمة فى بيت الرئيس السادات حيث استدعت جيهان السادات، المصور فاروق ابراهيم الذى التقط هذه الصور وعنفته.. ولم يكن لفاروق ابراهيم ذنب يذكر.. فقد كانت الفكرة فكرة ابراهيم سعده، طلب من الرئيس السادات أن يسجل معه بالكلمة والصورة تفاصيل يوم فى حياته .. اعجبت الفكرة السادات فوافق.. وكان لابد له أن يوافق.

صورة السادات وصلت للناس على إنه خطيب مفوه ذكى ويحسن التدبير وسياسى محنك وداهية صاحب حيلة ومناورة داهية خطير.. لديه قدرة هائلة على المباغتة وهو صاحب سلوك صارم وهو هادئ ومتدين يحسن الأصغاء ولايكشف عن نياته لأحد وهو أنيق ومهاب ذو عزم وتصميم وبطل وطنى وقائد منتصر وعاشق للفن.

وقد مرت صورة السادات بمراحل متعددة حتى وصلت إلى صورتها النهائية لدى الناس.. ففى بداية توليه السلطة كانت عملية رسم صورة شعبية له أمرا غاية فى الصعوبة بعد وفاة الرئيس عبدالناصر بما كان من له شعبية كاسحة.. لكن صورة الرئيس السادات اكتسبت شعبية إلى حد كبير بعد انتصاره فى حرب أكتوبر حتى أن الناصريين أنفسهم كانوا يغبطونه على هذا النصر ويتمنون لو أنه قد وقع فى عصر سلفه الذى كان فى رأيهم قد أسهم بقدر فى تحقيق هذا النصر باعادة بناء الجيش المصرى وما تحقق خلال حرب الاستنزاف من انتصارات محدودة.. كان من شأنها إعادة بعض الثقة فى نفوس أفراد الجيش والشعب معا .. لكن صورة الرئيس السادات مالبثت أن مرت بمنعطف حاد بعد زيارته وتوقيعه لاتفاقية كامب ديفيد التى لم يعتبرها الكثيرون استثمارا جيدا للنصر العظيم بل اهدار وتسليم لامبرر لها، ولذا اختلفت الآراء حوله واكتسب سخطا عربيا كاسحا وقوطعت مصر عربيا بسبب هذه الاتفاقية أو بسبب تصرفات الرئيس السادات نفسه، كما كانت آثار الانفتاح الاقتصادى الاستهلاكى قد بدأت تبدو للعيان متمثلة فى فوضى الثراء الفاحش وطفو طبقة طفيلية على سطح الحياة المصرية، وقد كان اتضاح تحول السادات الحاد عن الخط السياسى والاقتصادى الذى ساد طوال عهد عبدالناصر بكل ما كان قد حققه لفئات عريضة من العمال والفلاحين وانقلابه على شخص عبدالناصر نفسه.. كل هذا هز صور

السادات وجعلها ملتبسة وأصبح صوت الذين يكرهون السادات أعلى لدرجة أنك لاتستطيع أن تعلن حبك للسادات أو على الأقل إعجابك به إلا خطفتك النظرات المستنكرة.

□□□

الرئيس والمرآة

لم تنفذ عزة عزت رغم الجهد الواضح فى دراستها إلى عمق القضية التى تعرضت لها.. لقد حاولت القيام بمسح تاريخى للملوك والرؤساء وكيف رسموا صورتهم وبأى طريقة أوصلوها لمن يحكونهم لكنها وقعت أسيرة فى الصورة النمطية التى رسمها الآخرون للرؤساء فلم تخرج عنها كثيرا.. إن صور الرؤساء العديدة عندما تنظر إليها ستجدها مصنوعة تهدف جميعا إلى السيطرة وخطف البصر.. قد تكون مخالفة تماما للواقع لكنها تحدث تأثيرها خاصة مع البسطاء الذين يتعاملون مع الرؤساء على إنهم ظل الله فى الأرض وإنهم لا يخطئون أبدا.

كنت أسأل نفسى دائما.. عندما يقف الرئيس - أى رئيس - أمام المرآة ماذا يقول لنفسه وبأى شئ يحدثها؟ .. هل يحاسبها على مافعلته بالناس .. أم أنه يقتنع تماما بأن ما يفعله الصواب والحق والخير والعدل ؟.. أغلب الظن أن الرئيس أى رئيس يرى نفسه محقا دائما .. وأن الشعب هو المقصر الذى لايقدر ... وأن الرئيس باق والشعب زائل.. ولذلك عندما زحفت الجماهير على قصر أحد الرؤساء وهو مريض وهتفوا له.. سأل الرئيس زوجته التى كانت تجلس بجواره ما هذه الأصوات التى

أسمعها؟ قالت له أن الشعب جاء ليودعك.. فسألها ببراءة رغم مرضه: هو الشعب رايح فين، لايتخيل أى رئيس أن أيامه ستنتهى .. وتلك هى المأساة الحقيقة!

٤

رئيس وزراء على الشيزلونج

تصل بعض القضايا السياسة الجادة إلى درجة لاتستطيع أن تتعامل معها إلا بإحساس ساخر وبروح دعابة.. لأنك لو أخذتها على محمل الجد فلن تستطيع مقاومة كل ما يمكن أن يصيبك من الإحباط والإكتئاب وأمراض ضغط الدم والتهاب الأعصاب.. ومن ذلك ما قام به د. عاطف عبيد الذى دخل الوزراة عام ١٩٨٤ وخرج منها عام ٢٠٠٤ رئيسا لها.. أى أنه قضى فى المنصب السياسى عشرين عاماً كاملة .. حقق العديد من الانجازات هذا لاينكره عليه أحد .. لكن فى الوقت نفسه جرت على يديه سلسلة من الإخفاقات التى كان تهدده كل مرة بالخروج النهائى من الوزارة .. لكنه كان يبقى ويصعد وتتم ترقيته على خلاف كل التوقعات التى كانت تحيط به.

هذه محاولة لتحليل شخصية وتجربة د. عاطف عبيد نفسيا.. لا أدعى أننى متخصص فى هذا المجال.. ولذلك فقد استعنت بأهل الخبرة .. رفض بعضهم ذكر اسمه .. لأننى نشرت تفاصيل ما جرى أيام كان عاطف عبيد يجلس على كرسيه منتشيا مثل الطاووس لايملأ عينه أحد .. ولولا أنى فعلت ذلك ما أقدمت على إعادة نشره الآن .. فأنا لا أحب البطولات الوهمية .. ولا أسعى لذبح الفرسان بعد أن يترنصوا وتهرب من تحتهم خيولهم.

ليس في هذا الموضوع سخرية واضحة .. وإن كانت السخرية تتفجر من سطور الجدية وقتامة الواقع الذى كان يعيشه ونعيشه معه أيام كان رئيساً للوزراء .. وإذا كنت تعتبر أن هذه المقدمة طالت أكثر مما ينبغى .. فتفضل .. الموضوع كاملاً أمامك بلا زيادة ولا نقصان.

لا يعرف د. عاطف عبيد حكمة أجدادنا العرب التى تقول «من يجد شيئا يفعله لا يهتم بأن يجد شيئاً يقوله» ، ومصدر يقينى من عدم معرفة عَبيد هذه الحكمة أنه نموذج يطبق عكس ماتقوله تقريباً فقد انهار الجنيه المصرى فى عهده .. وخرجت مظاهرات البطالة.. ويعيش السوق المصرى حالة من الركود الحاد.. هذا غير الاكتئاب القاتل الذى يعيشه المصريون بسبب معاناتهم اليومية التى تبدأ معهم منذ الصباح .. ولاتنتهى عندما يخلدون للنوم، لكن د. عاطف عبيد يجد ما يقوله فى كل مناسبة، فى المؤتمرات والندوات والاجتماعات الرسمية وغير الرسمية .. فالإنجازات عنده دائمة .. والقفزات الاقتصادية تتوالى .. والوظائف متوفرة فى المدن والقرى والكفور والعزب.. كما صرح بنفسه بعد مظاهرات البطالة .. وكان السؤال هل يتحدث رئيس الوزراء بجدية. ويسخر من أوجاع المصريين حيث لا مكان للسخرية!

سألت مرة أحد المتخصصين فى التحليل النفسى عن الانطباع الذى يسيطر عليه عندما يستمع لتصريحات عبيد أو يراه وهو يتحدث فى التليفزيون، قال المحلل النفسى بحماس شديد: أشعر أن الرجل أسير نفسه.. فهو ليس قادراً على تحقيق حلمه الخاص، ومن ثم فهو غير قادر على تحقيق أحلام الآخرين. ويظهر ذلك واضحاً من طريقة كلامه

ومشيته وتصريحاته الكثيرة، فهو بلا ضجيج .. حتى أسرف فى التصريحات وحضور المؤتمرات والحديث فى الندوات.. فتأثيره المباشر مجاله غير كبير.

قد يكون فى كلام المحلل النفسى بعض المبالغة.. فهو يتحدث عن انطباعه النفسى فقط.. لم يعرف مفاتيح شخصية د. عبيد.. لم يتطرق لتفاصيل حياته.. وهى الحياة التى نرى أنها كانت بلا ضجيج، لكنها حملت صاحبها إلى رئاسة الوزارة فى مصر فى فترة حرجة من تاريخها.. كان ينتظر الناس فيها الفرج على يد الحكومة فجاءتهم الكروب من كل مكان.. تفاصيل حياة د. عاطف عبيد ليست خافية علينا.

ولد عاطف عبيد فى ١٤ ابريل ١٩٣٢ فى قرية «طوخ مزيد» مركز السنطة، أى أنه مواطن غرباوى كما يقول المصريون عن أهالى محافظة الغربية، حصل عبيد على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥٢، وهو نفس العام الذى قامت فيه ثورة يوليو، وهو ربط لا معنى له على الأطلاق حتى الأن، حصل على الماجيستير عام ١٩٥٦ والدكتوراه فى عام ١٩٦٢ من جامعة «إلينوى» وعمل أستاذاً بتجارة القاهرة من ١٩٦٢، وحتى عام ١٩٨٤، وهو العام الذى نزل فيه ضيفاً على الوزارة فى وزارة كمال حسن على.. أدى يمين الوزارة من وقتها حتى الأن سبع سنوات، ولا ندرى هل تصبح ثمانى مرات .. أم ستأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

أثناء عمله فى الجامعة عمل مستشاراً لوزارة الكهرباء، والصناعة والتعليم العالى، والإسكان، ورأس مجلس إدارة المركز الدولى لإدارة

الأعمال من ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٤، وعمل مستشارا لمنظمة العمل الدولية لتطوير برامج الإدارة فى قبرص، واختير عضوا للجنة التنسيق السياسية الإعلامية بجامعة الدول العربية عام ١٩٧٠، وكان معه فى هذه اللجنة الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين ونبيل شعث مسئول التخطيط والتعاون الدولى فى السلطة الفلسطينية، عمل أيضا عضوا فى الإتحاد الدولى لخبراء تنفيذ المشروعات، وكان عضوا بمجلس إدارة أكاديمية إدارة الأعمال بالولايات المتحدة، تولى منصب الوزير عام ١٩٨٤، وبعدها حضر العديد من المؤتمرات الإقليمية والدولية، وشارك فى المفاوضات مع صندوق النقد الدولى منذ عام ١٩٨٥، وتولى عدة لجان وزارية، وشارك فى إعداد برنامج الإصلاح الإقتصادى المصرى، وإعداد البرنامج القومى لتطوير الإدارة المصرية،وإعداد أول خطة قومية لحماية البيئة، وفى النهاية أصبح رئيسا لوزراء مصر.

كل هذه المعلومات لا تسمن ولا تغنى من جوع.. فهى سطور فى سيرة د.عاطف الذاتية.. لا تعكس شيئاً من شخصيته.. ما بين سطور حياته ما يفعل ذلك.. هل نبدأ بالسياسة..؟ ولم لا والكلام مع أنه عن التفسير النفسى.. لكنه فى الأصل عن السياسة.. يقول مصباح قطب فى كتابه «عصر الماركيتنج».. أو زمن عاطف عبيد، وهو الكتاب الذى أعده مصباح قبل أن يصل د.عبيد إلى رئاسة الوزراء وبعد أن وصل اختفى الكتاب، ولم يشعر به أحد.. يقول: لم ينخرط د.عبيد فى عمل سياسى شعبى أبداً، وإن كان قد أشتهر بين زملاءه الطلبة فى تجارة القاهرة بروحه الساخرة المرحة وعمله من أجل راحتهم، مما أكسبه شعبية، جعلت المدرج

الذى شهد مناقشة رسالته للماجستير يزدحم لدرجة أصابت د. عبد العزيز حجازى بالتواء فى قدمه، وهو يشق طريقه إلى الصفوف الأمامية ليحضر النقاش.

تواصل عبيد مع زملائه لم يكن يعبر عن شخصية اجتماعية تحب الذوبان فى حياة الآخرين وفى مشاكلهم، ولكنه كان تواصلاً من أجل اللحظة ينفس من خلاله عن طاقة فائضة.. لايسعى خلاله لحل مشاكل أحد.. وعندما أصبح الرجل وزيراً لم يحاول أن يخفف عن المواطنين معاناتهم الاقتصادية إلا بالكلام.. فهو وكما يقول أحد أصدقائه المقربين يحب إرضاء الجميع إذا تحدث، ولذلك فهو دائماً مضطر إلى استخدام المنطق الشكلى، الذى يتيح له بث كل ما هو مرتب ومتصاعد ومبهج دون تورط فى جدل مع أحد.

هذه القدرة التى يمتلكها فى تهدئة الجماهير ليست وليدة الوزارة.. فهى من سماته الأساسية، لقد حدث أن خطب د. عبيد فى طلبة تجارة القاهرة ذات يوم ومعه الدكتور عبد العزيز حجازى والدكتور حلمى نمر لمواجهة مشكلة آثارها الطلاب فحظى بتصفيق حاد من الطلاب جميعهم، بينما حظى الاثنان الآخران بتصفيق بعض الحضور، فقال له الدكتور حلمى نمر عقب اللقاء ضاحكاً: اسمح لى أقول لك يادكتور عاطف أنت «...» لأنه لا يرضى كل الناس فى جامعة القاهرة، إلا واحد فقط هو «...» فانفجر د. عاطف ضاحكاً من وصف د. حلمى.

يحب د. عاطف التطوع لخدمة الاخرين.. فأثنا وجوده فى أمريكا

للدراسة كان أول من أسس مجموعة تقاليد مصرية خلال الدراسة منها مثلاً : استقبال «النيوكمر» وهو الطالب الجديد، وتعريفه بطريقة التسجيل والجامعة ونظم المعيشة والدراسة، وكان مهتما بتنظيم رحلات كل أسبوع أو أسبوعين على الأكثر للطلاب المصريين إلى بحيرة قريبة من مكان إقامتهم، ويوزع العمل على المشتركين فى الرحلة، وكان يقوم هو بأشق المهام وهى الطبيخ، فكان يطبخ ويقدم الطعام على السفرة وقبل ذلك شراء خامات الأكل وظل د. عبيد حريصاً على تقديم الخدمات للآخرين دون انتظار الجزاء.. لقد وضع قاعدة للأفراح بين الزملاء هناك، فكان يحضر العروس بنفسه ويشرف على تفاصيل الحفل.. الاتفاق مع الزميل الذى سيغنى وماذا سيغنى، ثم يطلب من أحدث عروس أن تذهب لتطبخ للعروسة الجديدة وتملأ ثلاجتها بالطعام وترتب شقتها.

هذه الطبيعة التطوعية تأصلت فى شخصيته فقد دخل العمل السياسى بمنطق المتطوع، فبعد توليه الوزارة عام ١٩٨٤ صفى مكتبه الخاص فى الجيزة، وعندما سئل عن تضحيته بمكاسب المكتب قال: الحمد لله عملنا مدخرات معقولة والعيال كبرت ولازم نعمل شئ للبلد، فهو جاء إلى الوزارة كى يعمل شيئا متطوعاً ضحى بمكاسبه من أجل عيون مصر.. هذه التضحية تجعل الرجل نفسيا يشعر بأنه قد ضحى من أجل الاخرين، وإذا حدث وأخطأ فليس من حق أحد أن يحاسبه أو يلومه أو ينتقده.. فهو جاء متوطعاً وليس طامعاً.

لم يفرق عاطف عبيد بين التطوع فى العمل الإجتماعى والتطوع فى العمل السياسى، فهو يريد أن يشيع جواً من البهجة والتفاؤل مهما كانت

النتائج، لقد أكد بعد أن تولى الوزارة عام ١٩٨٤ أن فى مصر الآن أكبر تجمع للثروة فى المنطقة العربية، وبنى حكمه هذا على أساس أن ثمن الأراضى فى مصر يساوى كذا، وثمن شواطئها يساوى كذا، وفيها ١٥٠ ألف مسجد يمكن العمل من خلالها لدعم التنمية، ولديها طاقات بشرية هى كذا وكذا، ولدينا عدد من الموانئ تقدر بكذا، وأساطيل سيارات وسفن تساوى الشئ الفلانى، وأكد أن مصر حققت بالفعل قفزة اقتصادية بكل المعايير، شئ من هذا قاله د. عبيد بعد أن تولى رئاسة الوزارة عام ٢٠٠٠، ورغم الفارق الزمنى الذى يصل إلى ستة عشر عاماً زادت فيها أعداد العاطلين والشحاذين والجوعى والحفاة، والعراة من أبناء الشعب المصرى، ظل الرجل على تفاؤله ورغبته فى إشاعة البهجة فى نفوس وقلوب من حوله.

لقد حاصرنا د. عبيد منذ تولى الوزارة بقذائف من التصريحات التى تؤكد أن المليارات بالكوم، والوظائف الخالية على قفا من يشيل، بل ذهب الرجل رغم الاختناق الذى يشعر به الجميع أن مصر على وشك تحقيق القفزة الاقتصادية الكبرى خلال شهور، وهو ما أصاب الناس بالصدمة والذهول، فهم لا يجدون ما ينفقون ورئيس وزرائهم يتحدث عن قفزة اقتصادية كبرى ليس لها مثل فى العالم كله.

إغراق عبيد فى التفاؤل رغم ما يحيط بناويه من ضيق له مقابله النفسى، فالشخصية التفاؤلية رغم الضيق، شخصية لها تكوين عكسى، بمعنى أن الإنسان إذا كان مفرطاً فى التفاؤل فهو فى داخل مفرط فى التشاؤم، أو مفرط فى عدم القدرة على التفاؤل، ومن ثم فهو يستخدم

التفاؤل كحيلة دفاعية نفسية كى يتمكن من رؤية صور غير واقعية يحمى بها نفسه من أسوأ الاحتمالات التى يمكن أن يتعرض لها، هذه الحياة تلجأ إليها النفس حتى لا تتعب أو يصيبها الإرهاق، لكنها تعنى فى الوقت نفسه أن الشخص لا يقف على أرض صلبة بدرجة أو بأخرى.

لجأ عاطف عبيد وهو يدافع عن وجوده نفسياً إلى الإسراف فى التصريحات الكاذبة، وهى حيلة نفسية أخرى، فالشخص الذى يسرف فى تصريحاته، كمن يريد أن يصرخ فى الناس من حوله قائلا أنا الأجمل والأرقى والأهم.. يصرح كثيراً بما يفيد وما لا يفيد ليغطى على النواقص التى تحاصره، يشعر أن فى عمله فجوات كثيرة، فيلجأ إلى التصريحات كأسلوب نفسى يغطى نفسه هو تماماً مثل الشخص الذى يغطى نفسه بغطاء ثقيل جداً، وهو فى عز الصيف.. لأنه يشعر بعدم الأمان وهو بدون غطاء.

وأغلب الظن أن عاطف عبيد لا يشعر بالقدرة على المراجعة أو أنه مقصر فى أداء واجباته كرئيس للوزراء، هذا الاحساس يستمده من تكوينه النفسى كأستاذ جامعة، لقد كان عاطف عبيد أستاذ جامعة ناجحاً للغاية، أحد طلبة عاطف عبيد فى تجارة القاهرة قدم شهادته على أستاذية رئيس الوزراء الجامعية قائلاً: أتذكر وأنا أدرس بتجارة القاهرة فى المدة من ٧٩ إلى ١٩٨٣ قسم إدارة الأعمال، أن محاضرة د. عاطف كانت تحظى بأعلى نسبة حضور، وأننى مازلت حتى الآن لا أعرف السبب، د. عاطف كان يعمل للطلبة إبهاراً أمريكياً، ويوحى للطلبة أنه سابق عصره، لكنك تخرج من المحاضرة لاتجد شيئا بقى منها فى

عقلك، كان الطلبة يرددون بعد كل محاضرة: شفت الدكتور عاطف النهاردة كان رهيب، طيب فيه إيه، محدش فاكر حاجة، حتى امتحاناته لم تكن تخاطب إلا الطالب العادى، وكأنما يخشى على جماهيريته.

ما يفعله عاطف عبيد الآن لا يختلف كثيراً عما كان يفعله أيام الجامعة، فهو يهدف فى تصريحاته الطالب العادى، عفواً نقصد المواطن العادى، الذى ينبهر بالتصريحات رغم أنه لا يصدقها ولا يبقى فى رأسه منها شئ. إن أستاذ الجامعة لا يشعر بالقلق إذا كانت النتيجة آخر العام صفراً فى المائة، فهو عمل كل مافى وسعه، حضر جميع المحاضرات وأعطى المنهج كاملاً.. فمن يفشل بعد ذلك يحمل مسئولية فشله وإخفاقه.. أما الدكتور فلا ذنب له، وهو يخطط الآن ويفعل كل ما عليه من أجل المواطنين، لكن إذا فشلت خططه ولم يحقق للمواطن العادى المستقبل الذى ينتظره فهو ليس مسئولا ولكن المواطن هو المسئول عن نتيجته وعليه أن يتحمل نتيجة فشله الذريع.

يؤكد ذلك أن د. عاطف عبيد لا يضيق صدره بالنقد ولا يغضب من الشتائم التى تنهال على رأسه ليل نهار من صحف المعارضة والحكومة على السواء، فهو يعتبر كل ما يقال من قبيل هلفطة الطلبة الفاشلين الذين عجزوا عن اجتياز اختباره السهل، فهم يلقون بالتبعية على أستاذ المادة مع أنهم الذين قصروا ولم يؤدوا ما عليهم من واجبات، صحيح أنه متواضع للغاية ويتقبل الرأى الآخر حتى لو كان مخالفا له على طول الخط، لكن ليس معنى ذلك أنه مخطئ والآخرين على صواب، أو أنه مقصر والآخرين قدموا كل ما عليهم، ولكنه مثل أساتذة الجامعة جميعاً

يسـمـعـون انتـقـادات الطلبـة لهم فى طرقـات الكليـة لأنهم فـشلوا فى الامتحان ولا يلتفت أساتذة الجامعة لشتائم الطلبة لأنهم الأساتذة أما من يشتمونهم فهم طلبة فاشلون أو مواطنون فاشلون لا فرق بينهما.

يحـرص د. عاطف فى تصـريحاته على التـأكيد على أنه يشعر بالمواطن البسيط الذى يعانى مـرارة العيش، لكن المؤكد أن الرجل لا يسعى لرفع هذه المعاناة.. لا يشعـر بالمرارة التى تحيط بشاب فى مقتبل الحياة، لأنه عجز عن الاحتفاظ بفتاته وفشل فى توفير شقة ولو بسيطة ليحقق فيها حلمه البسيط بالزواج وتكوين أسرة صغيرة، ليس لأن الدكتور يتعالى على أحلام البسطاء.. ولكن لعل السبب فى ذلك هو الهـزات العاطفيـة التى تعرض لها الرجل فى مقتبل حياته.

ففى البدايات الأولى كان د. عبيد متعلقاً بابنة قريب له يعمل أستاذاً للمحاسبة، كان د. عاطف وقتها معيداً فى تجارة القاهرة، ومقبلا على الحياة، قرر أن يتزوج منها ويصطحبها معه إلى الولايات المتحدة خلال بعثة الدكتوراه، لكن الفتاة توفيت فى حادث أليم، كان موت المحبوبة بمثابة الصدمة التى زلزلت أركان حياته، شعر بالفقد الشديد، وهو مازال شاباً لا حول له ولا قوة.. ولم يكن هذا الفقد الوحيد الذى تعرض له فى حياته، فقد اختل توازنه بقوة بعد وفاة والدته السيد زينب طه عبد المجيد الشافعى، كان د. عاطف دائم الحديث عنها، وعن علاقته بها إلى أصدقائه وزملائه، كانت الأم هى الصديقة المقربة من ابنها، تربى معها فى شقة بجوار ميدان الدقى، وظل وهو الابن الأصغر لها يساعدها فى كل شئ. بما فى ذلك ما تتطلبه مهام البيت، وظل د. عبيد إلى آخر يوم

فى حياتها يقبل يديها كلما رآها، كان يصر على أن يشترى لها ما يشتريه لزوجته د. نجد خميس أستاذ إدارة الأعمال بأكاديمية السادات، حتى لو لم يكن ذلك ضرورياً لها وذات مرة دهشت د. نجد لأنه اشترى لأمه فراء من الفرير مثلما اشترى لها، لكنه قال لها مفسراً: لقد ترملت أمى فى سن ٢٢ سنة وكافحت على ولديها ولم تأخذ شيئاً من متع الحياة.

لكن هذا الفقد لم يوصله إلى الأخذ بيد الغير، فإذا كان الشباب يعانون من فقد الحبيبة فهو تعرض لذلك وبقسوة، لا نقصد أن د. عاطف يستهين بمشاكل الشباب، لكنه يراها مشاكل عادية يستطيعون أن يتغلبوا عليها، كما تغلب هو على مشاكله، فرغم الفقد الذى عانى منه، استمرت حياته وأصبح رئيساً لوزراء مصر بمجهوده وعمله الذى لم يساعده فيه أحد.

لم يمارس د. عبيد نفى الآخر مع أوجاع الشاب فقط، ولكنه مارسه مع سلفه كمال الجنزورى أيضاً، لم تكن العلاقة بين الرجلين طيبة، رغم أن د. عبيد كان وزيراً فى حكومة الجنزورى، تعرض عبيد لضغوط كبيرة أيام الجنزورى الأخيرة، لدرجة أن المراقبين أكدوا خروج عبيد من الوزارة إذا استمر فيها الجنزورى، لم يكن عبيد مقتنعاً بما يفعله الجنزورى، ففى أول لقاء بين الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء وقيادات اتحاد العمال والنقابات العامة والاتحادات المحلية، وكان الدكتور عبيد حاضراً واستمع إلى رئيس الوزراء وهو يشرح تفاصيل القروض والمديونيات على شركات قطاع الأعمال التى بلغت ٧١ مليار جنيه فى ميزانية ٩٥/٩٤ منها

٦ مليارات ونصف المليار ديوناً والخسائر بلغت ٩٪ والطاقات العاطلة ١٤٪.

بدت وقتها على وجهه عبيد علامات التوتر، فقد استشعر من حديث الجنزورى أنه لم يكن حديث إقناع للقيادات النقابية بأهمية برنامج الخصخصة، بقدر ما كان إحراجاً للوزير الذى تحدث كثيراً عن إصلاح وتطوير القطاع العام، وكان لسان كمال الجنزورى يقول لعبيد.. هذه نتائج ما تفعله.. اتفرج ياسيدى.

لقد خرج الجنزوى من الوزارة غير مأسوف عليه.. لكن العقل الجمعى المصرى الذى يرفض كل ما تفعله الحكومة فسر خروج الجنزورى على هواه. فقد ردد المصريون فى الشوارع وعلى المقاهى أن الجنزورى لم يخرج من الوزارة، إلا أنه رفض بيع مصر، وأن عاطف عبيد ما جاء ليكمل مشروع الخصخصة الذى بدأه ولم يكن يسمح له الجنزورى بإكماله.. ولم يكن لحماسه للخصخصة أى مكاسب خاصة فهو قد حقق مكاسب طائلة من مكتبه الخاص، ولا يحب د. عبيد أن يتحدث أبداً عن عمله كرئيس للوزراء، ولو وسط أقرب أصحابه، حتى حين يسمع من أصدقائه أن هذا الوزير «وحش» أو «حلو» لا يعلق.. كذلك فإنه يتجنب الإشارة إلى الجنزورى حتى فى جلساته الخاصة التى لن يحاسب عليها.

ونفى الآخر فى مرآة علم النفس حيلة نفسية للإنكار أو فلتقل التنكران، فالإنكار فعل واع مخطط ومنظم، أما التنكران فهو فعل غير واعى، فالشخص عندما يتنكر للشئ يحاول أن يمحوه من ذاكرته حتى لا يمثل

تهديداً له، حتى لو كان هذا التهديد داخليا ولا يشعر به أحد، محاولة عاطف عبيد لنفى الجنزورى من أحاديثه ليس دفناً للرأس فى الرمال، كما تفعل النعامة، ولكنه مثل الأب الذى رزق بابن معاق ذهنياً، فهو عندما يتحدث عنه يؤكد أنه زى الفل، أو لا يتحدث عنه إطلاقاً .. ينفيه من الشعور ويرغمه على التخفى فى اللاشعور، ويحاول أن يحاصره بكل قوته.. حتى لايظهر له فى أى لحظة ويمثل تهديداً ويمكن أن يعصف بأحلامه التى يحاول أن يحققها بعيداً عن شبح سلفه.

البعد عن التوتر سمة من سمات عاطف النفسية، ورغم أنه يمتلك قدرة هائلة على التأثير فى الآخرين وضمان تأييدهم له، لكنه لا يبذل أى جهد لاستثمار هذه السمة فى كسب وتعاطف الشعب المصرى، ولعل هذا غريباً ولا يتفق مع شخصية د. عبيد، فهو لا يخشى شيئاً قدر ما يخشى الهبّات الشعبية الجماهيرية.. فهذه الهبات تلخبط له حساباته الخاصة وتفسد ميله إلى أن ينعم بالسلام والراحة والطمأنينة، فهو يعتبر أن الوقت الذى يبذله فى العمل السياسى ويصل إلى ٢٠ ساعة يوميا كاف جداً .. ومن الظلم أن تضاف له بعد هذا الوقت الطويل من العمل أية منغصات أو توترات أو قلاقل.. فهو يكره الاعتصامات والإضرابات والمطالبات الدائمة برفع الأجور أو اتخاذ مواقف صارمة ضده.

لخبطة عاطف عبيد ـ ولا نريد أن نقول تخبطه ـ ظهرت واضحة للغاية بعد اندلاع مظاهرات البطالة فى تسع محافظات، لقد بدا عبيد مذهولاً وكأنه رغم عمله كرئيس للوزراء ـ لا يعرف شيئاً عما يجرى حوله، فهو يصرح تصريحات غير واقعية، ولا تتناسب مع حجم الحدث الذى تتعرض

له الدولة, لقد كان ذلك غريباً من أستاذ إدارة أعمال يعتمد على التخطيط والنظام فى كل قراراته، والمفروض أنه لا يخشى من المفاجآت.. لأنه يعمل لكل شئ حساباً .. ولكل مقام عنده مقال.

رد فعل عبيد من الناحية النفسية كان طبيعياً للغاية، فهو مازال يحتفظ تحت بدلته بجلباب الفلاح الغرباوى الذى يتحفظ بفطرته وقدرته على الاندهاش، لقد اعتقد عاطف عبيد أن هذا الزمن زمانه، فالدولة كلها تتجه إلى الاقتصاد الحر والخصخصة، والبيزنس والاستثمار، وعليه فلابد أن يكون هو نجم المرحلة وربان السفينة والقائد الذى لا ترد له كلمة، لكنه وجد نفسه فجأة يتراجع إلى آخر الصفوف، يتدنى رصيده عند الناس عندما صرح رئيس الوزراء أنه منذ تولى الوزارة وهو فى غيبوبة، وأنه لا يعرف من أن يأتى رجال الأعمال بالأموال التى ينفقونها على المحطات الفضائية والصحف، لكنها كانت تصريحات واقعية جداً وكاشفة إلى أبعد مدى عن شخصية عبيد، فهو فلاح طيب لا ينتبه إلى الخطر الذى يحيط به إلا عندما ينبهه الآخرون لذلك.. وساعة أن يكتشف ما كان مخططاً له.. يصرخ فى دهشة ياه .. الناس بقت وحشة جداً.

قد تكون بساطة د. عبيد وتعامله مع المشكلات محيرة للبعض. فالاقتصاد المصرى يتعرض للانهيار وهو مازال مبتسماً، هذه البساطة ليست جديدة على الرجل المبتسم الهاش اللباش دائما، فلم تقابل د. عبيد فى حياته عقبات ضخمة، ولكن حياته سارت بسلاسة يتعجب هو نفسه منها أحياناً، فلم يكن يرغب فى العمل السياسى رغم معرفته بأن

السياسة هى السبيل الوحيد لتحقيق الطموح، لكنها هى التى أودت بأخيه د. عبد المنعم عبيد أستاذ التخدير بطب قصر العينى إلى غياهب السجن ضمن الشيوعيين فى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، لقد أصيب د.عبيد بعقدة من السياسة فهى قاتلة الرجال، لكنه لم يشف من هذه العقدة إلا بعد أن عاد من الولايات المتحدة حاملاً معه درجة الدكتوراه التى لها وزنها فى عالم السياسة والبيزنس على السواء.

لقد وقع اختيار جهاز مهم على د. عبيد لإعداد بعض الدراسات التى يستفيد منها هذا الجهاز، لم يتردد د. عاطف لحظة، وشمر عن ساعديه، وأعد عدداً كبيراً من الدراسات التى انطلق من خلالها إلى آفاق عربية ودولية حتى جئ به وزيراً عام ١٩٨٤ ضمن حكومة كمال حسن على، لقد تعرض د. عبيد إلى بعض المشكلات فى الوزارة، لكنها انتهت جميعا إلى صالحه، لقد كان من المؤكد أن عبيد سيخرج من الوزارة.. واعتبره الناس وزيراً سابقاً . لكن فجأة أصبح رئيساً للوزراء.

خرج عاطف عبيد على الناس مستقبلاً كاميرات التليفزيون وعلى وجهه ابتسامة عريضة، وكأنه لايصدق نفسه، تحدث عن تشريف الرئيس له بتكليفه برئاسة الوزارة، ففارق كبير بين أن يخرج من الوزارة نهائياً وأن يصبح رئيساً لها، لم يتغير د. عبيد فعندما كان وزيراً كان يتحدث كثيرا عن تكليف القيادة السياسية أو تكليف رئيس الوزراء له ببذل كل الجهد، وكأن بذل الجهد يحتاج لتكليف.

سهولة الحياة هذه جعلت عاطف عبيد يشعر أن الحياة سهلة.. وأن

المواطنين هم الذين يتدللون .. فما دام حقق طموحه السياسى ووصل إلى رئاسة الوزارة بسهولة، فلابد أن كل مواطن يستطيع أن يحقق طموحه بمنتهى السهولة خاصة أن رئاسة الوزارة ليست طموح كل الناس، لا يشعر د. عاطف بحسرة المواطن الذى يقف أمام بائع الفاكهة ويعجز عن شراء كيلو فاكهة يعود به لأولاده ليدخل على قلوبهم البهجة، لا يقدر مرارة المواطن الذى ينتظر أتوبيس هيئة النقل العام بالساعات ويرفض أن يركب الميكروباص، لأنه سيوفر عشرة قروش فقط، هى فارق الأجرة بين الأتوبيس والميكروباص، لا يلقى بالآلاف الشباب العاطلين، الذين تعطلت أحلامهم وذبلت تطلعاتهم وانتحرت طموحاتهم، لأنهم لا يجدون فرصة عمل مقابل مائة جنيه فى الشهر، لا يقرأ د. عبيد أخبار المواطنين الذين يبيعون أولادهم ولا الذين يسرقون كى يأكلوا ولا الذين يقتلون حتى يدخلوا السجن فإن حكم عليهم بالسجن ضمنوا الطعام.. وإن حكم عليهم بالإعدام ضمنوا الراحة الأبدية.

كان د. عبيد قارئاً جيداً وباحثاً فذاً فى بداية مشواره العلمى.. يراجع مقولاته وتصريحاته بدقة، لكنه لم يعد يحتاج إلى ذلك .. فلديه ما يشغله ... حتى لو كان ما يشغله هذا بعيداً عن هموم الناس ومتاعبهم!

□□□

6

وزراء على ما تفرج

فى عــام ١٩٩٣ تــم استدعاء الــوزراء ليحلفوا اليـمين الدستورية أمام الرئيس حسنى مبــارك، كـان د. عاطف صدقى قد كلف مدير مكتبه أن يتـصـل بجـمـيع الوزراء، نـسى مـدير المكتب اسم المهندس المرشح وزيراً للأشغال.. حاول أن يتذكر.. أجهد نفسه لكنه لم يتذكر سوى لقبه الذى كان نـفس لقب وزير الأشـغـال السـابق مبـاشـرة وهو عصـام راضى، ظل مـدير المكتب يردد بينه وبين نفسـه اسم الوزير. قـال مـحـمـد راضى .. أحمد راضى.. محمود راضى.. كمال راضى.. مديرة المكتب بدورها قالت للمدير.. إن اسم الوزير يشبـه اسم الوزير الأسبق لـلأشغال وهو محمد عبد لهادى سماحة، وعندما وضع الاسم على اللقب توصل مدير مكتب عاطف صدقى إلـى اسم الوزير كامـلاً .. الذى كان محـمـد عبد الهادى راضى.

بهذا الموقف ختم د. محمد الجوادى أحد فصول كتابه المهم «كيف أصـبـحـوا وزراء» لم يكن الجـوادى يبـحث عن طرائف صاحـبت اخـتـيـار الوزراء .. ولا عن القـفـشـات التى وقع فـيـهـا القـريبـون من دائرة عـمل الوزراء.. ولكنه يحاول تأكيد أن اختـيار الوزرراء فى مصر كثيراً ما كان يتم بالصدفة البحتة.. للدرجة التى تجعلنا نقول : إن هناك قائمة ليست قصيرة من الوزراء الذين يمكن أن نطلق عليهم «نادى وزراء الصدفة»

لايبنى الجوادى الذى أصبح خبيراً وعالما بشئون الوزراء فى مصر على طريقة «أهل مكة أعلم بشعابها» رؤيته لوزراء الصدفة على خيال أو حكايات بلا سند أو فانتازيا سياسية استمدها من أداء بعض الوزراء الذين لا يمكن أن نصدق أنهم وصلوا إلى الوزراة إلا من خلال الصدفة.. لكنه يتحدث بالوقائع الموثقة وبالأسماء أيضا.. وهو ما يجعلنا ننصت إليه .. ونقدر مجهوده البحثى الذى لا يتوانى عن بذله.

نادى وزراء الصدفة فى مصر بدأ أثناء ثورة ١٩١٩، حين هددت الثورة باغتيال من يقبل العمل كوزير، وهكذا أصبح من الصعب أن يقبل الوزراء التقليديون العمل فى ظل هذا التهديد، كان الحل الوحيد أن يصدر تشريع جديد يعطى الوزير الحق فى المعاش المخصص للوزارة فور قبوله الوزارة، وهذا يعنى أن أسرة الوزارة لن تتشرد إذا فقد حياته فجأة بسبب الإغتيال، وهكذا تشكلت ثلاث وزارات إدارية ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٠ ضمت ١٠ وزراء جدد لم يكن لهم عهد بالوزارة، وإن لم يكونوا بعيدين بالطبع عن طبقة المستوزرين ووكلاء الوزارات وكبار رجال القضاء والحكومة.

بعد أن زال التهديد عادت الأمور إلى حالتها الطبيعية وأصبح الوزراء التقليديون يقبلون على الوزارة وقد أختير المستشار مرسى فرحات باشا وزيراً للتموين على حين كان المرشح لهذه الوزارة هو المستشار قطب فرحات، ويروى أن النحاس باشا نفسه فوجئ بمرسى فرحات فى القاعة التى اجتمع فيها الوزراء إستعداداً لأداء اليمين الدستورى أمام الملك

فاروق.. وساعتها قال النحاس باشا للوزير الجديد بتلقائية: خلاص نصيبك كده.. وانتهى الأمر لأن الوقت لم يكن يسمح باستدعاء قطب فرحات حتى يمكنه الحضور.. فقد كان وقت حلف اليمين أزف.. ولعل ذلك كان سبباً فى أن يخرج مرسى فرحات من الوزارة سريعاً. حيث لم يقض فيها سوى عشرة أشهر فقط استقال بعدها.

ما حدث بين مرسى فرحات وقطب فرحات حدث مرة أخرى وفى حكم هذه الوزارة نفسها، فقد عين فيها عبد المجيد عبد الحق وزير دولة، وكان لعبد المجيد شقيق أكثر منه شهرة نال الوزارة قبله وعمل وزيراً للشئون الاجتماعية وللأوقاف والتموين، وحين دخل عبد المجيد الوزارة قيل: إن المقصود كان أخاه عبد الحميد.. وأخطأ السكرتير أو مدير المكتب وطلب عبد المجيد عبد الحق بدلاً من عبد الحميد.

ويرجح محمد الجوادى أن هذه الرواية جائزة الصحة ظاهرياً لأن عبد الحميد كان أكثر شهرة من أخيه، وكان صديقاً لأهل الفن والصحافة إلى درجة أن الموسيقار محمد عبد الوهاب غنى له أغنية ألفت خصيصاً لمساندته فى الانتخابات البرلمانية وكان مرشحاً عن دائرة السيدة زينب فى إحدى مرات التكتل ضد الوفد.. وقد كان عبد الحميد عبد الحق من الوافديين القلائل الذين فازوا فى هذه الانتخابات التى خاضها بإصرار وذلك على الرغم من مقاطعة الوفد لهذه الانتخابات.. وكانت أغنية الموسيقار عبد الوهاب تقول: يا أهل الحى.. يا أهل الدائرة.. يا مجاورين السيدة نظرة.. حلفتكم بالست الطاهرة لتجاوبوا وتقولوا الحق.. تنتخبوا مين! ترد الجماهير أو المجموعة الكورس قائلة: عبد الحق.

ورغم أن الأخوين عبد المجيد وعبد الحميد كانا وزيرين ومحاميين ناجحين ورجلي مجتمعات، ورغم أن عبد الحميد باشا تولى منصب نقيب المحامين وأسس حزبا خاصاً بنفسه في فترة من الفترات سماه حزب العمال ورغم الباشاوية فإن الأخ الثالث للوزيرين، يحظى بمكانة أرفع وأخلد في الوجدان الشعبي لأنه فنان وهو الملحن المعروف عبد العظيم عبد الحق. وفي عهد الثورة كانت الفرصة أكبر في الحصول على منصب الوزارة بفضل تشابه الأسماء وكان من الطبيعي ألا يحدث هذا إلا عندما توسعت الثورة في اختيار الوزراء من خارج دائرة ضباط الأحرار، وهي الدائرة التي كانت معروفة جيداً لأفرادها بحكم الزمالة.

وقد حدث هذا في مارس ١٩٦٨ حيث كان الدكتور إسماعيل غانم الأستاذ بكلية الحقوق في جامعة عين شمس وعميد الكلية مرشحاً للوزارة، وتصادف أن سكرتارية الرئيس جمال عبد الناصر اتصلت بالدكتور حافظ غانم وكان أستاذاً هو الآخر في كلية الحقوق في جامعة عين شمس أيضاً، وهكذا جاء الدكتور حافظ غانم وزيراً للسياحة في وزارة الرئيس عبد الناصر الأخيرة..

المصادفة في هذه الوزارة كانت غريبة للغاية.. فقد أقيل محمد حلمي مراد فجأة من منصب وزير التربية والتعليم. وهكذا أصبح الدكتور محمد حافظ غانم وزيراً التربية والتعليم، لكن الفرصة لم تضع من الدكتور إسماعيل غانم، بل بالعكس سعت إليه مرتين حيث دخل الوزارة وخرج منها، وعين رئيساً للجامعة وبقي في هذا المنصب حتى عاد ودخل الوزارة مرة ثانية في حالة من الحالات القليلة في عهد الثورة.

ففى١٥ مايو ١٩٧١ وقع الاختيار على الدكتور إسماعيل غانم ليكون وزيراً للثقافة فى وزارة الدكتور محمود فوزى، وكان الدكتور محمد حافظ غانم لا يزال وزيراً للتربية والتعليم، بينما كان إسماعيل غانم قد وصل بعد العمادة إلى منصب وكيل جامعة عين شمس.

وقد بقى الغانمان معاً فى مجلس الوزراء منذ مايو ١٩٧١ وحتى الوزارة التالية فى سبتمبر ١٩٧١ حيث خرج الأحدث وهو الدكتور إسماعيل غانم، ومن حسن حظه أنه تولى عند خروجه مباشرة منصب مدير جامعة عين شمس، ثم عاد إلى دخول الوزراة مرة ثانية بعد عامين ونصف العام عند تشكيل وزارة الرئيس السادات الثانية فى أبريل ١٩٧٤ كوزير للتعليم والبحث العلمى.

كان إسماعيل غانم هو أول قانونى مصرى يتولى وزارة البحث العلمى وهو ما فعله د. مفيد شهاب بعد ذلك واستمر إسماعيل حتى أبريل ١٩٧٥ وزيراً للتعليم العالى والبحث العلمى أى أنه شغل هذا المنصب فى وزارة الرئيس السادات الثانية ووزارة د. عبد العزيز حجازى،وفى هاتين الوزارتين كان الدكتور حجازى هو صاحب الأمر ومن المهم أن نشير إلى أن عبد العزيز حجازى كان عميداً لتجارة عين شمس قبل أن يختار وزيراً للخزانة فى مارس ١٩٦٨ فى الوقت الذى كان إسماعيل غانم عميداً للحقوق فى عين شمس ومرشحاً لدخول الوزارة.

وفى بداية عهد الرئيس السادات حدث شئ مشابه، فقد رشح محيى الدين عبد اللطيف وزيراً للنقل فى وزارة الرئيس السادات الأولى – وزارة

الحرب - فى مارس ١٩٧٣، لكنه بدلاً من أن يتم استدعاؤه استدعى شقيقه الحسينى عبد اللطيف وعين وزيراً للنقل، كان الحسينى عبد اللطيف من المهندسين العسكريين المتميزين، أما محيى الدين عبد اللطيف فعوض عن هذا واختير محافظاً للقليوبية (نوفمبر ١٩٧٤ - نوفمبر ١٩٧٦)، ثم عين نائباً لوزير المواصلات، وبقى فى هذا المنصب الرفيع فترة طويلة، فلما طال العهد بسليمان متولى فى المنصب الوزارى آثر محيى الدين عبد اللطيف الاستقالة من منصب نائب الوزير واحتفظ برئاسة لجنة النقل والمواصلات فى مجلس الشعب.

وكما اكتشف مصطفى النحاس ما حدث فى صدفة قطب فرحات ومرسى فرحات.. فإن الرئيس السادات بنفسه هو الذى اكتشف ما حدث فى صدفة الحسينى ومحيى الدين.. لكن السادات اكتشف الصدفة أثناء حلف اليمين وليس قبل حلف اليمين كما حدث مع النحاس.

فى عهد السادات أيضاً قصة أقل شهرة - بطلها هذه المرة هو د. عبد الرازق عبد المجيد مع د. على عبد المجيد .. ففى أثناء وزارة ممدوح سالم الثالثة وبالتحديد فى ٢٢ أبريل ١٩٧٧ أى بعد التعديل الوزارى المحدود الذى أعقب مظاهرات ١٧و١٨ يناير التى كان الرئيس السادات يطلق عليها «انتفاضة الحرامية» ويطلق عليها معارضوه «انتفاضة الخبز» كان من المتوقع أن تخرج المجموعة الوزارية الاقتصادية التى يرأسها د. عبد المنعم القيسونى، لكن التعديل الوزارى الذى تم فى ٤ فبراير ١٩٧٧، لم يشمل خروج هذه المجموعة وإنما خروج الوزيرة التى أشارت إلى

ضرورة استقالة الوزارة بسبب هذه الأحداث وهى الدكتورة عائشة راتب ووزير الاعلام د. جمال العطيفى الذى نسب إليه أنه أعطى الفرص لمثل هذه الاتجاهات المعارضة للظهور على شاشات التليفزيون، كان الطبيعى أن تخرج المجموعة الاقتصادية تباعاً، وقد حدث بالفعل بعد شهرين وبالتحديد فى ٢٢ أبريل١٩٧٧ أن خرج وزير التخطيط د. محمد محمود الإمام وجاء د. عبد الرازق عبد المجيد ليخلفه كوزير للتخطيط.

عبد الرازق عبد المجيد نفسه روى أنه كان مرشحا لدخول الوزارة فى بدايتها فى نوفمبر ١٩٧٦ وليس فى وسطها كما حدث بالفعل فى إبريل ١٩٧٧، لكنهم بدلاً من أن يستدعوه استدعوا الدكتور على عبد المجيد، وهو أستاذ إدارة أعمال متميز جدًا، وكان فى ذات الوقت وكيلاً لكلية تجارة القاهرة، وكانت له شعبية كبيرة بين الطلاب .. وهكذا أصبحت الوزارة التى أسندت إلى الدكتور على عبد المجيد هى وزارة التنمية الإدارية.

فى أبريل ١٩٧٧ إذن انضم عبد الرازق عبد المجيد إلى الوزارة التى كانت تضم مَنْ جاء على أنه هو، واحتفظ كل منهما بمنصبه الوزارى تبعاً لتخصصه فعلى عبد المجيد وزيراً للتنمية الإدارية، وعبد الرازق عبد المجيد وزيراً للتخطيط لكن بعد خمسة أشهر فقط وعند تشكيل الوزارة التالية فى أكتوبر ١٩٧٧ برئاسة ممدوح سالم نفسه خرج الرجلان صاحبا الاسمين المتشابهين فلم يعد على عبد المجيد وزيرا للتنمية، بل وغاب اسم الوزارة من نص التشكيل الوزارى، فى حين تولى الدكتورعبد

المنعم القيسونى وزارة التخطيط بنفسه وهكذا أصبحت الوزارة لا تضم هذا ولا ذاك ولا تضم وزيراً متفرغاً للتنمية، ولا وزيراً متفرغاً للتخطيط.

المدهش فى الأمر أنه فى الوزارة التالية مباشرة وهى آخر وزارات ممدوح سالم فى مايو١٩٧٨، عاد الدكتور عبد الرازق عبد المجيد ليتولى منصب وزير التخطيط، فى حين خرج د. القيسونى نهائياً من الوزارة، كما عادت وزارة التنمية الإدارية إلى الظهور هى الأخرى فى قرار التشكيل الوزارى وتولاها وزير كان قد عين فى أكتوبر ١٩٧٧ كوزير دولة فقط وهو الدكتور على السلمى الذى دخل الوزارة فى نفس اليوم الذى خرج فيه منها الدكتور على عبد المجيد وكلاهما من نفس القسم فى كلية التجارة جامعة القاهرة.

صعد عبد الرازق عبد المجيد بعد هذا فى مايو ١٩٨٠ إلى منصب نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية وجمع فى يده وزارات الاقتصاد والمالية والتخطيط حتى ترك الوزارة فى يناير ١٩٨٢ فى مطلع عهد الرئيس مبارك..أما الدكتور على عبد المجيد فلم يعد إلى الوزارة بعد هذا، وفى مرحلة تالية أصبح د. على السلمى وزيراً للتنمية الإدارية وللرقابة والمتابعة. ومن أطراف ما علق به الناس على هذه الواقعة أن الاختيار الخاطئ كان أفضل من الإختيار الصائب.. فعلى عبد المجيد كان قيمة كبيرة بين أساتذة الإدارة.

وتبقى هذه القصة.. التى فيها بعض الفبركة..كان السادات قد أعلن أن الفريق الجمسى سيظل وزيراً للدفاع مدى الحياة.. وفى خريف ١٩٧٨

قرر التغيير.. وكانت التعديلات تشمل وزير الدفاع وعندما أنهى إلى هيئة مكتبه رغبته فى التغيير.. وكانت التعديلات لا تشمل وزير الدفاع وعندما أنهى إلى هيئة مكتبه رغبته فى تغيير الجسمى.. قالوا له وقد استقر فى أذهانهم أنه لا يوجد من يستطيع أن يحل محل الجمسى: من ستكون له قدرات الجمسى كوزير للدفاع ؟ أجاب السادات ببساطة إن أى رئيس فرع أو إدارة من إدارات القوات المسلحة كفء لهذا المنصب مادام قد وصل إلى الموقع المتقدم، ونجح فيه بصرف النظر عن الأسم آيا كان هذا الاسم، وبطريقة المصريين فى ذكر الأسماء متتابعة على هيئة محمد وأحمدومحمود أو فلان أو علان وترتان قال الرئيس السادات: أى مدير من مديرى الأسلحة والإدارات فى حرب أكتوبر يصلح لهذا المنصب .. كمال .. حسن.. على.. وكانت المفاجأة أن هذا الأسماء المتتالية تكون اسم وزير الدفاع الجديد الذى خلف الجمسى وهو كمال حسن على.

ورغم أن محمدالجوادى يرى أن الفبركة واضحة فى القصة لأن كمال كان مديراً للمدرعات فى حرب أكتوبر وأصبح بعدها دوناً عن غيره من مديرى الأسلحة مديراً للمخابرات العامة وبعد هذا أصبح وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزراء.. إلا أن النكتة تظل حاضرة.. لأن اختيار كثير من وزرائنا يخضع لمنطق النكت أكثر مما يخضع للمعايير السياسية!

(2)

يصل الوزراء إلى كراسيهم فى مصر بلا أسباب محددة.. ويخرجون منها بدون أسباب محددة أيضاً.. وما بين الدخول والخروج تظهر قصص

وحكايات وطرائف.. ورغم أن ملف الوزراء فى مصر حافل بالمواقف التى يمكن أن تراها مضحكة لكنها فى النهاية تبدو مؤسفة وبشكل ربما يدعو إلى الخجل..

فبعد أحداث ١٨و١٩يناير وعندما استقالت د. عائشة راتب من وزارة الشئون الإجتماعية غضب السادات.. فلا يوجد شئ اسمه وزير يستقيل.. كلف ممدوح سالم بتشكيل وزارة، كان النبوى إسماعيل وزيرالداخلية فيما بعد مديراً لمكتب ممدوح سالم، سأله ممدوح: ما تعرفش لنا واحدة تنفع وزير شئون إجتماعية، قال له:يافندم عندى واحدة زى الفل وهى أمينة المرأة فى القاهرة وأمينة مساعدة على مستوى الجمهورية.. وهى طيبة جداً الأزمة تعدى ونبقى نشوف، أرسل ممدوح سالم سيارة الوزارة بيت آمال عثمان، فاعتقدت أنها سيقبّض عليها، فلم يكن يخطر على بالها أنها ستصبح وزيرة ولذلك قالت لزوجها : تعالى ورايا بالسيارة وهات هدومى معاك، دخلت الوزارة فقال لها النبوى إسماعيل: مبروك عليك وزارة الشئون الإجتماعية يا أفندم فأغمى عليها وبعد أن أفاقت قالت لهم : ثانية واحدة أقول لزوجى يروح وفى اليوم التالى ذهبت الى الجامعة لتأخذ إجازة ستة أشهر فلم تكن تعتقد أنها ستستمر فى الوزارة أكثر من ستة أشهر.. لكنها بالمصادفة أيضاً ظلت فى الوزارة ثمانية عشر عاما.

فى الوزارة نفسها احتاجوا وزير ثقافة.. فقال لهم ممدوح سالم عندى واحد كويس ينفع وزير ثقافة اسمه عبد الحميد الكاتب اتصلوا به لم يجدوه فقد كان يقضى أجازة فى مزرعته ولأن السادات كان متعجلاً جداً

فلم ينتظر الكاتب. وقال لهم عينوا عبد الحميد رضوان.. ماله عبد الحميد رضوان كويس، وفى اليوم التالى جاء عبد الحميد الكاتب إلى الوزارة فقال له ممدوح سالم: هاردلك كنت متعين وزير ثقافة لكن راحت عليك !

فى سنة ٧٨ كانت لدى الرئيس السادات رغبة ملحة فى إحداث تغيير وزارى تحديدا ليطرد وزير معينا لأنه كان لايطيقه.. قال لممدوح سالم : شيلوه يا أخى فرد ممدوح بأن التغيير الوزارى لا يصلح أن يكون لوزير واحد.. عرف الوزير المقصود أن الرئيس السادات ليس راضياً عنه فسعى لتحسين علاقته به فى أول تغيير وزارى خرج خمسة وزراء وظل الوزير الذى كان السادات غاضباً عليه للغاية، فلم يكن هناك معيار واحد لا لدخول وزير للوزارة ولا لخروج وزير منها.

ما حدث فى وزراة عاطف صدقى كان له العجب.. جاء عاطف صدقى فجأة.. فبعد وزارة على لطفى وفى ٦ نوفمبر ١٩٨٦ تم تكليف د. كمال الجنزورى بتشكيل الوزارة.. لكن الذى حلف اليمين هو ووزارته لم يكن الجنزورى بل كان عاطف صدقى، لم يعرف الجنزورى ماذا حدث بالضبط لكن ما قيل وقتها أن الجنزورى له اتجاهات ناصرية ووجوده لن يعجب الأمريكان فى وقت كانت فيه مصر تحتاج بشدة إلى مساعدة الأمريكان.

المحير فى الأمر هو سرعة عاطف صدقى فى تشكيل الوزارة فقد تم تكليفه قبلها بأقل من أربع وعشرين ساعة ولعل السر فى سرعة عاطف

صدقى رغم أن المعروف عنه كان الهدوء والتروى وعدم التعجل أنه كون وزارته من بين شلته.. لدرجة أن هذه الوزارة كانت تعرف أحياناً بوزارة الطاولة وأحياناً أخرى بوزارة باريس، ولكل من الإسمين سببه.. فقد جاء عاطف صدقى بأصدقائه الذين كانوايسهرون معه فى منزله بالمعادى وكانوا يلعبون الطاولة، وكان منهم فؤاد اسكندر وزير شئون المصريين فى الخارج ومحمد على محجوب وزير الاوقاف ومحمد الرزاز وزير المالية وجلال أبو الدهب وزير التموين ويسرى مصطفى وزير الاقتصاد، وكان من بين أعضاء وزارة عاطف صدقى فتحى سرور وزير التعليم وفاروق حسنى وزير الثقافة، وكان قد تعرف عليهم أثناء عمله معهم فى باريس، وكانت هذه هى المجموعة التى استقبلت الرئيس مبارك فى باريس عندما كان نائباً للرئيس السادات، فقد حمل رسالة الى الرئيس الفرنسى وقتها جيسكار ديستان وقابلوا الرئيس مبارك هناك وبعد أن تعرفوا عليه عن قرب راهنوا عليه ووضعوا الأمل فيه.. وعندما دخلوادائرة الضوء لم يخرجوا منها حتى الأن.. فتحى سرور خرج من الوزارة الى رئاسة مجلس الشعب وفاروق حسنى دخل لوزارة الثقافة ولم يخرج منها ومن بين ما يذكر أنه عندما اعترض البعض على اختيار فاروق حسنى لوزارة الثقافة. رد عاطف صدقى بأنه قدم خمسة اسماء لوزارة الثقافة ووقع الاختيار فى النهاية على فاروق.

وإذا كانت المصادفة قد خدمت البعض بالفعل.. فان النفوذ قد خدم البعض وهيأ لهم أنهم يمكن أن يركبوا الوزارة بسهولة، وقد تخيل يوسف

عبد الرحمن أنه لمجرد علاقته بيوسف والى يمكن أن يصبح وزيرا للزراعة بل إنه فى علاقاته الجنسية التى وردت تفاصيلها فى التسجيلات الصوتية التى حصلت عليها الرقابة الإدارية كان يتحدث مع نسائه على أنه وزير الزراعة القادم. ووحدها المصادفة أيضاً هى التى قادته إلى السجن وليس إلى الوزارة .

هذه العشوائية فى الاختيار سببها أننا لا نملك قوائم يمكن أن نختار منها الوزراء بل نعتمد على العشوائية وترشيحات المقربين.. حتى أصبح من المعتاد عند السؤال عن فلان هل يصلح وزيراً؟، فيقول المسئول للسائل ده زى الفل يافندم يكون هذا الرد بلا تفصيل ولا معلومات ولا مافعله هذا الوزير قبل ذلك ولا ما يمكن أن يفعله بعد ذلك وكأن كلمة زى الفل تجب ماقبلها وتصلح كشهادة ضمان تكفى لترشيح الوزير واستمراره فى الوزارة، هذه الطريقة فى اختيار الوزراء خلفت لنا تراثا سياسيا عجيبا فقد دخل د. سلطان أبوعلى ذات يوم على د. مصطفى السعيد وكان وقتها وزير اقتصاد، كان سلطان أبوعلى يشكو من سوء المعاملة فى الجامعة فعينه السعيد رئيسا لهيئة الاستثمار، وعندما صدر حكم قضائى ضد مصطفى السعيد وفؤاد أبو زغلة وزير الصناعة لتقديمهما تسهيلات لبعض رجال الأعمال فى مواقع مختلفة.. وقعت الحكومة فى حيص بيص، لم يبحثوا كثيرا عمن يصلح وزيرا للاقتصاد، اختاروا سلطان أبو على ونزل وقتها من الدور التاسع الذى يوجد فيه مكتب رئيس هيئة الاستثمار إلى الدور الخامس الذى يوجد به مكتب وزير

الاقتصاد، ولأن أبوعلى لم يكن يتوقع المنصب فقد جرت على يديه عاجيب، فلم يكن يوقع أية ورقة مهما كان شأنها، وحول كل الأوراق إلى لجان خاصة تبت فى أى أمر وسار على نهجه الوزراء جميعا فأصبحوا لايوقعون أى ورقة، ومن مآثر سلطان أبوعلى أن إحدى المجلات الايطالية منحته جائزة عدم الانجاز وكانت عبارة عن الملعقة الخشبية.

إذا أردت أن تعرف مأساة الوزراء فى مصر.. فاستوقف أى عابر سبيل فى الشارع وأسأله عن عدد الوزراء .. بل أطلب منه يذكر أسماء عشرة وزراء فقط.. أراهنك إذا عرف وهذا طبيعى للغاية فنحن لانملك مدرسة محددة لاختيار الوزراء، يأتون إلى الوزراة بشكل عشوائى ويخرجون منها بشكل عشوائى أيضا وعمدا يتم اختيارهم، يعتبرون ذلك منحة عليا فيتطوعون بدفع ثمنها ولذلك فهم لا يجتهدون مطلقا، ينفذون فقط ما يطلب منهم دون أدنى اضافة ولو وضعت أذنك على تليفونات الوزراء مع المسئولين الكبار فلن تسمع سوى كلمة حاضر يا أفندم فهم لايملكون سوى هذه الكلمة ردا على أى سؤال مهما كان شأنه صغيرا أو كبيرا لايعترضون ولايناقشون، ولا يختلفون فقط يقولون حاضر يا أفندم وقبل أن يختموا كلامهم تجدهم يقولون كله تمام يا أفندم فلا تعرف على أى شئ يوافقون ولا تفهم ماهو الشئ الذى قولون أنه تمام رغم أن كل الأشياء من حولنا ليست تمام.

إن المدرسة الوحيدة التى تنتج وزراء منضبطين هى مؤسسة الجيش والمؤسسة الأمنية والنماذج كثيرة لكن تبقى أمامنا مشكلة أن سيطرة هذه

المؤسسة على كل الوزارات يمكن أن تؤدى إلى عسكرة النظام كله .. وهو أمر مرفوض بالطبع لكن المقبول منه أن الآليات التى يعمل بها الجيش والمؤسسة الأمنية يمكن أن يستفاد بها فى تأهيل الوزراء وتدريبهم وتعليمهم كيف يتحملون المسئولية ولا مانع أن تعقد هذه الدورات لأساتذة الجامعة لأنهم بوضعهم الحالى ومن خلال نماذج عديدة يفشلون عندما يدخلون الوزارة بل إنهم وبالأرقام الأفضل فى تاريخ الوزارات المصرية ولعل ذلك يعود إلى تركيبة الاستاذ الجامعى فى مصر والتى تجعله أسيرا لتعليمات ولسلم وظيفى معين لايستطيع أن يتجاوزه وهو ما يحرمه من فرصة الابداع والابتكار.

بمثل هذا يجب أن ننشغل فليس مهما من سيخرج من الوزارة ولا من سيدخل لكن المهم كيف سيأتون وكيف سيستمرون سنوات عديدة دون أن يشكلوا إضافة حقيقية لنا.. لكن أن تختلفوا معى كثيرا لكن مايمكن أن نتفق عليه هو أننا مقدمون على كارثة محققة لأن الوزارة أصبحت مجرد وظيفة والوزير أصبح موظفا حتى لو أدعى الجميع غير ذلك.

لم يكن غريبا ألا يحقق أساتذة الجامعة الذين دخلوا الوزارات المصرية إنجازات تحسب لهم إلا فيما ندر، فطبيعتهم النظرية تغلب عليهم وتحركهم وتصيغ قراراتهم التى تأتى فى الغالب بعيدة عما يعانيه الناس فى الشارع المصرى.

إن وزارة عاطف عبيد ووزارة د. نظيف يعمل فيها عدد كبير من أساتذة الجامعة.. ومع ذلك فالمعاناة التى وجدها المصريون على أيديهم تزداد كل

يوم .. بل إن د. عاطف عبيد ود. نظيف أستاذين فى جامعة القاهرة، ولم يحققا حتى أى إنجاز يحسب لها سوى تصريحاته التى توهم من يسمعها أن كل شئ تماما.. فلا فقر ولا فقراء رغم أن الاحصاءات والتقارير الرسمية تؤكد أن ملايين المصريين يعيشون تحت خط الفقر.. وليس هذا جديدا.

د. محمد الجوادى الذى هو فى الأساس أستاذ بطب الزقازيق خصص فصلا من كتابه «كيف أصبحوا وزراء» لرؤساء الجامعة الذين أصبحوا وزراء ورؤساء وزارة.. ويشير د. الجوادى إلى أنه كان من المعتاد فى عصر الليبرالية أن يصل كبار المهن المختلفة إلى منصب الوزارة فى إطار اختيار الوزراء من بين أفرادالنخبة الطبيعية، أى النخبة التى يتوقع وصول أفرادها المسئولية بحكم كفايتهم وشخصياتهم وخبرتهم ومناصبهم العليا وإعدادهم لمثل هذه المواقع الوزارية، وكذلك كان من المعتاد أن يتولى الوزراء السابقون مناصب رفيعة فى مؤسسات الدولة ذات الطابع الخاص التى تتصل بمجال عملهم الأصلى.

ولعل منصب مدير الجامعة الذى تغير اسمه إلى رئيس الجامعة منذ عام ١٩٧٢ يدلنا على مدى وحجم تبادل مواقع السلطة بين رجال الدولة والعلم البارزين، فحتى قيام الثورة كان قد تعاقب على رئاسة جامعة القهرة التى تغير اسمها من الجامعة الأهلية إلى الجامعة المصرية ثم جامعة فؤاد الأول تسعة رؤساء منهم أربعة تولوا هذه الرئاسة قبل ضم الجامعة للحكومة وخمسة بعد هذا الضم أما الأربعة الأوائل فهم سعد

زغلول الذى اختير وزيرا للمعارف ثم يأتى حسين رشدى الذى جمع بين رئاسة الجامعة ورئاسة الوزارة عام ١٩١٤ ويقى كذلك حتى ١٩١٦ حين وجد صعوبة فى الجمع بينما فتنازل عن رئاسة الجامعة للأمير يوسف كمال، ولكن حسين رشدى عاد إلى رئاسة الجامع مرة ثانية طيلة الفترة من ١٩١٧ ـ ١٩٢٥ جامعا فى البداية بينها وبين رئاسة الوزراء حتى يترك الأخيرة ويبقى فى الجامعة ثم يتولى إجراءات ضم الجامعة إلى الحكومة.

كان أحمد لطفى السيد هو أول رؤساء الجامعة الموظفين أى أولالرؤساء الذين عينتهم الحكومة بعد أن كان مجلس الإدارة هو الذى ينتخب الرئيس من بين أعضائه المتطوعين وقد تولى لطفى السيد هذا المنصب على فترات متقطعة منذ ١٩٢٥ وحتى ١٩٤٠ وكان يتولى الوزارة أثناء هذه الفترة لمدد قصيرة ثم يعود إلى منصبه كمديرللجامعة، وقد تولى منصب مدير الجامعة للمرة الأولى من ١١ مارس ١٩٢٥ وحتى يونيو ١٩٢٨حيث أصبح وزيرا للمعارف فى وزارة محمد محمود الأولى، ثم عاد لتولى منصب مدير الجامعة للمرة الثانية من أول أغسطس ١٩٣٠ وحتى ٩ مارس ١٩٣٢ حيث استقال احتجاجا على طغيان زميله وصديقه إسماعيل صدقى، وعاد لطفى السيد ليتولى رئاسة الجامعة للمرة الثالثة فى ٢٨ إبريل ١٩٣٥ وحتى أكتوبر ١٩٣٧ ثم شارك مرة أخرى فى ديسمبر ١٩٣٧ فى وزارة محمد محمود باشا الثانية كوزير دولة وكانت آخر تجاريه فى الجامعة عندما عاد إليها فى ١ يونيو وحتى ١١ مايو ١٩٤١ وهو آخر عهده برئاسة الجامعة.

من بين رؤساء جامعة القاهرة الذين تولوا الوزارة قبل الثورة كذلك محمد كامل مرسى، حيث تولى وزارة العدل عام ١٩٤٦، وترك هذا المنصب ليتولى رئاسة مجلس الدولة عند إنشائه فى سبتمبر ١٩٤٦، وبقى فى هذا المنصب حتى خلفه فيه د. عبد الرازق السنهورى عند وصوله سن التقعد، وقد عين د. مرسى مديراً للجامعة فى نوفمبر ١٩٤٩، ثم أصبح وزيراً للعدل للمرتين الثانية والثالثة فى وزارات أحمد نجيب الهلالى باشا.

تاسع رؤساء جامعة القاهرة وهو آخرهم قبل الثورة د. محمد عبد الوهاب مورو لم يستطع أن يتولى الوزارة، وربما كانت فرصته فيتولى الوزارة قائمة لولا أن الثورة قامت وتغير نمط اختيار الوزراء.

أما مديرو جامعة الإسكندرية الأوائل فكانوا على التوالى د. طه حسين الذيأصبح وزيرًا للمعارف فى ١٩٥٠ ود. منصور فهمى، ود. محمد صادق جوهر، والأستاذ مصطفيعامر ولم يتولى أحد من هؤلاء الثلاثة الوزارة.

بعد الثورة ومن بين رؤساء جامعة القاهرة لم يحدث أن اختير لمنصب وزير التعليم العالى وهو يشغل منصب الرئاسة سوى د. مفيد شهاب وحدث هذا فى يوليو ١٩٩٧ وذلك على الرغم من أن القانون القديم للمجلس الأعلى للجامعات كان ينوط رئاسة هذا المجلس برئيس جامعة القاهرة بحكم منصبه على نحو مايتولى رئيس محكمة النقض رئاسة مجلس القضاء الأعلى.

كان أول رئيس جامعة يختار وزيرا للتعليم العالى هو د. عبد العزيز السيد رئيس جامعة الإسكندرية، وهو أول وزير مصرى للتعليم العالى فى اكتوبر ١٩٦١ حيث كان أول وزير للتعليم العالى سوريا وهو امجاد الطرابلسى مابين أغسطس ١٩٦١ وأكتوبر من العام نفسه، وكان ثانى رئيس جامعة يختار للتعليم العالى هو د. عبد الوهاب البرلسى رئيس جامعة أسيوط وقد اختير فى ١٩٦٨ أما ثالث رئيس جامعة وصل إلى وزارة التعليم العالى فكان د. إسماعيل غانم رئيس جامعة عين شمس وحدث هذا عام ١٩٧٤.

وقد تولى إثنان من رؤساء جامعة القاهرة السابقين منصب وزارة التعليم العالى بعد فترة تركهم منصب رئيس الجامعة الأول كان د. محمد مرسى أحمد والثانى هو د. حسن إسماعيل رئيس الجامعة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٥ وقد اختير وزيرا لأربع وزارات معا بمسمى وزيرالتعليم والثقافة والبحث العلمى فى وزارة د. مصطفى خليل من أكتوبر ١٩٧٨ وحتى ١٩٧٩.

وبالإضافة إلى وزارة التعليم العالى التى تتبعها الجامعات فإن بعض رؤساء الجامعات اختيروا وهم يرأسون جامعاتهم لمناصب وزارية على النحو التالى : اختير د. سليمان حزين أول رؤساء جامعة أسيوط فى عهد الثورة ليكون وزيرا للثقافة فى أكتوبر ١٩٦٥ فى وزارة زكريا محيى الدين، واختير محمد حلمى مراد خامس مديرى جامعة عين شمس ليكون وزيرا للتربية والتعليم فيمارس ١٩٦٨ واختير د. محمد حمدى

النشار رئيس جامعة زسيوط ليون وزيرا للمالية فى نوفمبر ١٩٧٤ وقد عاد بعض خروجه من الوزارة إلى منصبه نفسه، وأخيرا فقد اختير د. محمد عوض تاج الدين رئيس جامعة عين شمس ليكون وزيرا للصحة فى فبراير ٢٠٠٣ فى وزارة د. عاطف عبيد.

ويشير د. الجوادى إلى أنه حتى الآن لم يحدث هذا النوع من التبادل بين المناصب الوزارية ورئاسة الجامعة فيما بين رؤساء الجامعات الثمانى الأحدث وهى طنطا والمنصورة والزقازيق وحلوان والمنيا والمنوفية وقناة السويس وجنوب الوادى، إلا فى وزارة د. أحمد نظيف حيث أصبح د. أحمد جمال الدين رئيس جامعة المنصورة وزيرًا للتعليم، ود. عمرو سلامة رئيس جامعة حلوان وزيراً للتعليم العالى. أما الجامعات الخاصة فقد انتفعت برئاسة عدد من الوزراء السابقين، فقد عمل د. محمودمحفوظ وزير الصحة السابق رئيسا لجامعة ٦ أكتوبر بعدما كان رئيسا لمجلس أمناء هذه الجامعة ويعمل د. محمود شريف وزير الإدارة المحلية والتنمية الريفية السابق رئيسا لجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

مالم يشر إليه د. الجوادى فى كتابه القيم هو الدور الحقيقى الذى قام به كل رؤساء الجامعة هؤلاء فى الوزارة .. لم يتعرض لما قدموه .. لم يضع أعمالهم تحت ميكروسكوب دقيق .. ويصنفهم إلى وزراء أضافوا وأثروا العمل السياسى.. ووزراء عبروا المنصب دون أدنى إضافة .. ثم وزراء كانوا نكبة على الوزارة ولم نجن من ورائهم سويالخراب.. قد يكون هذا ليس من بين اهتمامات د. الجوادى الذى يوثق المعلومات فقط وهو

على كل حال جهد مشكور.. لكن دون تنظير .. فمن أراد أن يعرف ماذا يفعل أساتذة الجامعة بالوزارة فلينظر إلى ما فعلته بنا حكومة د. عاطف عبيد وتفعله بنا حكومة د. أحمد نظيف.

(3)

عندماتطل فى وجوه وزراء مصر لابد أن تتعجب، فرغم الأزمة الطاحنة التى تكسر عظام الفقراء وتهدد مستقبل الأغنياء.. فإن الابتسامة لا تفارق وجوههم فهم بشوشون دائماً، متفائلون على طول الخط. د. عاطف عبيد رأس الوزارة كان لا يجلس فى مكان إلا ويوزع الابتسامات قبل التصريحات التى تكون غالباً وردية بما لا يتناسب مع مايشعر به الناس، وكذلك يفعل د. نظيف ووزراءه.

وقد يكون معك الحق تماما عندما ترفع حاجبيك اندهاشاً، وأنت ترى فى مقدمات نشرات الأخبار مشاهد من اجتماعات مجلس الوزراء إذكل الوزراء يضحكون وكأنهم يتبادلون النكات.. وسيكون معك الحق مرة ثانية ... إذا سألت نفسك أو من يجلس إلى جوارك قائلاً : الناس دى بتضحك على إيه!

بشاشة الوزراء ومحاولة ظهورهم فى الصور الصحفية واللقاءات التليفزيونية سعداء متفائلين ترغمنا على طرح سؤال قد يكون غريباً بعض الشئ.. فهل الوزراء عندنا سعداء بالفعل .. هل هم أصحاء نفسيا.. هل عندما يغلق الوزير عليه بابه يظل محتفظا ببشاشته ووجهه

الضاحك.. أم يسيطر عليه الحزن .. ويمكن أن يدخل فى موجات بكاء عالية؟ .. وإذا كان هذا يحدث فهل للوزراء أمراض نفسية يعانون منها ويضطرون بسببها إلى زيارة الطبيب النفسى، يتمددون أمامه ويكشفون له أسرارهم ويطلبون منه العلاج.

الواقع إنه لا توجد معلومة واحدة تشير إلى أن أحد الوزراء المشهورين أو حتى المغمورين ذهب يوما إلى طبيب نفسى، وحتى فى جلسات الأطباء النفسيين لا تتردد ولو حتى شائعة تقول أن الوزير الفلانى دخل يوما عيادة طبيب نفسى، صحيح كان هناك وزير فى حكومة عاطف عبيد يعالج فى مصحة نفسية.. لكن لا أحد يعرف مما كان يعانى هذا الرجل.. ولماذا دخل المصحة .. وهل تم علاجه بالفعل أم ظل يعانى وهو فى الوزارة من أوجاعه النفسية!

والثابت عند الأطباء النفسيين المصريين أن الوزراء لايذهبون إليهم خوفاً على مناصبهم.. فليس معقولا أن فكون الوزير مريضا نفسياً حتى ولو كان كذلك .. وربما يكون هناك سبب آخر لا يتحدث عنه أحد، فقلة الوعى تجعل الناس تعتبر المريض النفسى مجنوناً .. وليس طبيعياً أن يعلن أى وزير أنه ذهب للطبيب النفسى.. فهو ليس مستعدا أن تتناوله الألسنة على اعتبار أنه مجنون.

هذا لا يمنع ما قاله لى طبيب نفسى صديق أنه يعرف وزراء مصريين حاليين وسابقين يذهبون إلى أطباء نفسيين فى أوروبا وأمريكا، يطلبون عندهم العلاج والمشورة، لكن هذا يتم فى إطار من السرية والكتمان، ولا

يخشى الوزير من ذلك، فالطبيب الأجنبى لا يعرفه بل يتعامل معه كمريض عادى جدا وليس صاحب سلطة، وهو ما يسهل المهمة على الاثنين الوزير ... والطبيب.

ورغم أن الوزراء قد ينكرون أنهم يعانون من أى مرض نفسى، بل ويؤكدون أنهم أسوياء تماما.. لكن هذا لا يمنع أن هناك أمراضا تصاحب السلطة وتظللها. وهى أمراض تظهر للوزير لحظة دخوله الوزارة وتظل معه حتى لحظة خروجه منها، وكل مرحلة لها أمراضها وأعراضها وأيضا آثارها السلبية التى يمكن أن تعصف باستقرار وأمن الوزير وربما بحياته.

لقد فتح وحيدحامد بمشرطه باب الحديث عن أمراض الوزارة النفسية فى فيلمه معالى الوزير، وبمقال علمى رصين حاول د. خليل فاضل أن يغوص فى عالم وزير وحيد حامد النفسى.. وعلى هامش هذا الغوص دار بينى وبينه حوار حول هذا العالم الخفى والسر المدفون والبئر العميقة التى يحاول الوزراء دفن مشاكلهم وهمومهم وأوجاعهم النفسية فيها.

فالوزير مثل أى شخص عادى معرض للإصابة بالأمراض النفسية بأسباب اجتماعية ونفسية ووراثية، الوراثة نعرفها فيمكن أن يأتى الوزير من عائلة سوداوية المزاج تبالغ فى تقديرها لقيمتها وتاريخها فيتعالى على الناس وينظر لهم نظرة فوقية، ويكون طبيعيا من هذا الوزير أن يعتبر كل ما يقدمه تفضلا على الناس فالوراثة يمكن أن تجعل الوزير مهيأ بطبعه للإصابة بالكوابيس أو الاكتئاب أو الوسواس القهرى.

البيئة التى يخرج منها الوزير تؤثر فيه للغاية .. فقد يكون الوزير ابن ذوات كما يقولون .. تعلم فى أرقى المدارس، ويظل طوال عمره يترددعلى أماكن خاصة بطبقته.. لا يعرف الفقراء عنها شيئاً،فجأة يجدهذا الشخص نفسه مسئولا عن وزارة، وبحكم عمله فيها يكون مضطراً للتعامل مع فئات وبيئات مختلفة .. فيقع الوزير فى حيرة .. فهو متيم ببريق السلطة لكنه لا يطيق أن يتعامل مع رعاياه الذين لم يتعود عليهم.

ثم تأتى العوامل الاجتماعية والتى يمكن أن تحطم أى وزير وتجعله هشاً، فيمكن أن يكون الوزير قد تربى على الشجاعة والإقدام وإبداء الرأى، لكنه فجأة يجد نفسه وفى مواقف كثيرة لا يستطيع إلا أن يكون جباناً خاضعاً يسمع الكلام، أو يكون الوزير عاش فى بيئة جعلته انطوائيا، فيجد نفسه وقد اعتاد البعد عن الناس مجبراً على الاختلاط ومواجهة الجماهير، والحديث إليهم .. هذه التغيرات قد تصيب الوزراء بهزة نفسية، وما يحدث لهم أثناءحديثهم فى مجلسى الشعب والشورى يؤكد ذلك؛ فيمكن ببساطة أن تجد وزيراً متحفزاً وآخر يداه ترتعشان وثالثا لا يستطيع أن يجمع جملة على بعضها لأنه لم يعتد ذلك.

ورغم أن السلطة فى العالم الثالث أبدية، فمن يدخل السلطة لا يخرج منها وحتى من يترك كرسى الوزارة يظل قريباً من دوائر صنع القرار، فالدولة لا تترك رجالها.. فلا يخرج وزير إلا ولديه حصانة من مجلس الشورى مثلاً، وما حدث مع إسماعيل سلام يؤكد ذلك، فرغم أنه خرج من وزارة الصحة لكن أجهزة الدولة دعمته من أجل أن يصبح رئيساً لمنظمة الصحة العالمية، فالوزيرفى مصر لا يفقد نفوذه.. لكنه فقط يفقد أنيابه.

هذا لا يمنع أن يخاف الوزير ويخشى مما يمكن أن يحدث له، خاصة أننا نرى من يترك الوزارة مغضوباًعليه من السلطة، فالوزراء فى مصر يخافون من الصحافة، لأنهم يعتقدون أنها تنهش لحومهم، فهى تفعل ذلك وهم فى السلطلة، فماذا ستفعل بهم عندما يخرجون منها .

ولأننا مختلفون عن كل خلق الله فى كل بلاد الدنيا، فالوزراء عندنا مختلفون أيضا .. فهم يعانون من خوف مرضى، خوف من المعلوم وخوف من المجهول.. خوف الوزراء من المعلوم فالوزير يعرف كل المصائب التى ارتكبها .. الصفقات التى دخلها .. العمولات التى حصل عليها .. المخالفات التى اقترفها.. وهو يعانى بشدة من اليوم الذى تكشف فيه فضائحه.. ومؤكد أن محيى الدين الغريب وزير المالية السابق كان يعانى من هذا الخوف.. وهو ما حدث كذلك مع يوسف عبد الرحمن وكيل وزارة الزراعة.. فمؤكد أنه كان يخشى من كشف أمر صفقاته وعمولاته وعلاقاته الغرامية.

الخوف من المعلوم أهون كثيرا من الخوف من المجهول .. فالوزير لا يعلم هل سيخرج من الوزارة أم يظل فيها .. وهل سيخرج بفضيحة أم سيكون خروجه عادياً.. وهل سيخرج من الوزارة لمنصب مهم .. أم سيهمش .. وهل ستفتح الصحافة ملفه أم ستتركه مغلقاً .. لا تقترب منه هذا الخوف يجعل الوزير يتردد ألف مرة قبل ارتكاب أى خطأ.. لكنه فى النهاية يرتكبه اعتقادا منه أنه سيظل محميا بسلطته.. أو أنه سيخلد فى السلطة.. أو أنه فى النهاية سيتخلص من ذلك كله بالموت، رغم إننا لم

نشهد أى وزير ودع الحياة قبل أن يودع الوزارة، سوى د. عبد الهادى راضى وزير الرى الذى مات مصابا بالسرطان.

وبعيداً عن الخوف فإن الوزراء عندنا يسرفون فى التصريحات، وخاصة المتفائلة منها رغم أن الأحوال الاقتصادية والسياسية فى مصر ليست على ما يرام وهو ما يسمى فى علم النفس بالتكوين العكسى أو الضدى.. فالوزير لا يقول الحقيقة رغم أنه يعلمها جيداً.. فهى مفزعة ومروعة.. ومادام التكوين العكسى موجوداً.. فلابد من وجود حيلة دفاعية يجيدها كل الوزراء المصريون.. وهى حيلة النكران.. فالوزراء يتجاهلون المصائب والكوارث والمشكلات التى تحاصرهم، فهم يعلمون أن البلد داخلة على مصيبة محققة.. لكنهم يجهلون ذلك .. يكتونه ويكتبونه.. ويظلون يؤجلون حل المشكلات حتى يحلها ربنا!

وفى الوقت الذى يتعامل فيه الوزراء بهذا التجاهل مع مشكلات وزاراتهم، فإنهم لا يتورعون فى بعض الحالات عن أن يتواصلوا بشدة مع الناس، وخاصة أعضاء مجلسى الشعب والشورى، ويصل إقبال الوزيرعلى النواب لدرجة «الدلقة عليهم» فعلاقة الوزيز بالنواب مصدر قلق واضطراب له.. ففيها خوف من المعلوم وخوف من المجهول.. المعلوم أن الوزير يعرف أن هناك استجوابات وطلبات إحاطة وأسئلة والمجهول أن الوزيز لا يعرف ماذا فى هذه الاستجوابات والطلبات من مصائب يمكن أن يواجه بها.. فتحرجه وتضعف موقفه السياسى أمام زملائه من الوزراء وأمام القيادة السياسية أيضا.

حياة الوزير تتأزم منذ اللحظة الأولى التى يدخل فيهاالوزارة.. حيث يصبح مقيداً وليس حراً فى تصرفاته وتحركاته.. ويصح أن نقول إن الوزير يصبح سجيناً داخل إطار وهمى للحركة، فهو يتحرك فى إطار مرسوم .. طوال النهار.. روح وتعال.. الريس عايزك.. ولأن العيون تكون على الوزير.. فإنه لا يغضب بسهولة.. بل يكون غضبه محسوبًا بشدة، وتعبيره عن فرحته وسعادته محسوبة بشدة أيضاً، لا يستطيع أن يعيش حياته الطبيعية، لا يتمكن من الاستمتاع ولو بدقائق يمشى فيها فى أى شارع براحته وعلى طبيعته.. هذه القيود رغم أن الوزير يأخذ مقابلاً لها سلطة ونفوذا وأضواء إلا أنه قد يحسد مرءوسيه حتى السعاة منهم لأنهم يستطيعون أن يعيشوا حياتهم على راحتهم بينما هو مقيد.

بعد ذلك تظل المعاناة الكبرى .. فالوزراء عندنا ممنوعون من البوح والحديث عن أوجاعهم النفسية حتى لأقرب الناس منهم.. خوفاً من الفضيحة، فالاكتئاب والعذاب عندهم أرحم كثيراً من الفضيحة التى يمكن أن تقودهم فى لحظة خارج الوزارة.. وهى اللحظة التى تقف وراء كل الكوابيس والأمراض والمتاعب النفسية التى تهاجمهم.. وتؤرق عليهم حياتهم !

□□□

٦

وش قفا

■■

هذه ليست شخصيات من نسج الخيال .. هى لأسماء معروفة يتبادلها الناس كل يوم .. ويتعاطونها مرغمين أحيانا ومضطرين إلى ذلك أحيانا أخرى. فمصالحهم مرتبطة بهم.. قد يحملون لهم بعضا من الكراهية.. لكن المؤكد أنهم غاضبون عليهم دائما.. فكل منهم يعمل لمصلحته الخاصة حتى لو حاول أن يبدى غير ذلك ..

من بين خيوط شخصياتهم العديدة .. إلتقطت خيطاً واحداً .. نسجت حوله أداءهم ومايقومون به.. قد تعرفهم من الوهلة الأولى .. وقد تضع ملامح شخصيه على اسم شخصية أخرى تراها الأنسب لها .. وهو أمر لن يغضبنى .. فأنت وشأنك، فالمهم عندى ليس الاسم .. ولكن المهم ما يفعله صاحبه.

بياع الكلام

لم يكن وصوله إلى كرسى الوزارة رغم صغر سنه أمراً غريبا، كل من عرفه كان يثق أنه سيصبح وزيرًا ولن يكون ذلك إلا بداية فقط.. فلا أحد يدرى إلى أين ينتهى به الطريق رئاسة الوزراء أم رئاسة الجمهورية، لكن تجربته القصيرة حتى الآن أحبطت الجميع .. فهو وزير على طريقة صباح التيأغرت حبيبها بكل شئ.. ولما فشلت فى الحصول منه على أى شئ غنت له .. كلام .. كلام .. كلام وبس .. مابخدش منك غير كلام

من عائلة لها تاريخ سياسى حكومة ومعارضة.. لم يتعب قلبه كثيرا ويجلس إلى جوار كبير عائلته فى حزبه.. فهم الفولة مبكراً فأنغمس حتى أذنيه فى حزب الحكومة حتى صار أحد قياداته ووجوهه المعروفة.. اجتهد فى دراسته حتى حصل على الدكتوراه التى جعلها فى خدمة طموحه السياسى ـ ولم يكن يفعل شيئاً آخر سوى الاهتمام بمزرعته وتدخين الشيشة فى الأماكن العامة.. وعلى العادة التى أقلع عنها بعد أن أصبح وزيراً بعد أن نصحه صحفى كبير بذلك .. ولما سأله عن السبب .. قال له : بيتهيألى أنه لن يرضيك أن ننشر صورتك وأنت بتشرب الشيشة.. رد الوزير : لكن هذه حريتى.. فقال له الصحفى: من الآن إذا

أردت أن تمارس حريتك فيجب أن تدفع ثمنها.. ولأنه تعود أن يأخذ أكثر مما يعطى.. فقد امتنع عند التدخين بين الناس واكتفى باصطحاب الشيشة إلى منزله.

اسمه فى مجلس الوزراء « شجيع السيما».. وقد حصل على هذا اللقب بجدارة لأنه فى الشهور الأول من عمره الوزارى شن هجوما ضخما للغاية على الحكومة وعلى أداءها وعلى ما تفعله بالناس.. وأنه لابد أن تكون هناك شفافية ونزاهة وحرية وديمقراطية .. ضاق زملاءه الوزراء من طريقته.. لكنهم كانوا يتعجبون منه عندما كان يحضر معهم الاجتماعات والجلسات الحكومية الخاصة.. كان أعلاهم صوتا فى تأييد الحكومة ورئيسها.. لم يكن يكف عن الإشادة بعبقريته.. وعندما أدرك الوزراء أن «شجيع السيما» بتاع حركات وأنه يحاول أن يسرق الأضواء وليس إلا لم يهتموا بما يفعله.. لأنهم على قناعة أن الوزير الذى يكون تحت الأضواء يصبح أكثر عرضة للضرب والبطش والتلطيش!

ملأ الدنيا كلاما عن الإنجازات والإنضباط والإدارة العلمية.. وبعد أيام قليلة تبخر كل شئ.. أحاط نفسه بأصدقائه وشركائه السابقين وسعى لاسنادمناصب مهمة إليهم.. لم ينفذ أى من وعوده للعاملين فى وزارته.. ورغم ذلك لم يكف عن التصريحات العنترية التى لم تعد تنطلى على أحد.. فهو لا يملك سوى الكلام يبيعه للناس، كان يمكن أن يصبح شخصية سياسية ذات ثقل مثل أقاريه.. لكنه فضل أن يبيع نفسه

للشيطان.. يمدحه ويروج له ويؤيده عن قناعة لسبب بسيط أن قناعته هى مصلحته.. ومصلحته أن يبقى وزيرًا حتى لو خسر كل شئ!

أيام عمله فى الجامعة كان نشيطا للغاية.. لم يترك مؤتمرًا ولا ندوة إلا وشارك فيها ببحث أو ورقة بحثية.. وكلها كانت تتحدث عن التطوير والخروج من الأزمات.. وكان يطالب الوزير الذى سبقه بالأخذ بأفكاره وتنفيذها.. لكنه الآن ورغم أنه أصبح الوزير، لم ينفذ شيئا من أفكاره.. جمع كل هذه الأبحاث والدراسات ووضعها فى درج مكتبه وأغلق عليها بالمفتاح.. فمؤكد أنه سيحتاج إليها.. فلو خرج من الوزارة فليس أمامه إلا أن يعود لسابق عهده فى الحديث عن التطوير والتحديث والبحوث.. وذلك بحثا عن دور جديد!

يراهن البعض على أن عمره سيكون قصيرًا فى الوزارة .. لأنه مغرور ومتعالى وشايف نفسه حتى على من هم أعلى منه.. لكنه فى الغالب سيستمر.. لأن الدور الذى يقوم به مطلوب للغاية.. وفى الأدبيات الشعبية يمكن أن نطلق على الوزير صاحب ألقاب «شجيع السيما.. وبياع الكلام» لقب جديد هو «غلوش» وغلوش هذا هو الشخص الذى لا يفعل شيئًا ملموسًا ولا يقدم إنجازا حقيقيا.. ولكنه يظل يتحدث «ليغلوش» أى يشغل الناس عن الواقع الحقيقى هو شخصية مريحة للغاية وجذابة أيضا.. لكنها بلا قيمة حقيقية.

الخوف عليه فقط من خبرته السطحية بالناس وأوضاعهم.. فهو ورغم إدعاءه أنه يعرف هموم الناس ومشاكلهم إلا أنه يتصرف وكأنه من كوكب

تانى.. لقد كان أحد المطالبين بإلغاء الدعم.. ولما راجعه بعض الوزراء قال لهم : دعم إيه اللى الناس عايزاه وهم بيأكلوا الفول المستوردمن أمريكا.. بالطبع كان بياع الكلام يتحدث عن ناس يعرفهم هو ويعيش بينهم وليس ناسنا الذين ينتحرون لأنهم لا يجدون طعام يومهم.. ولا يهمهم كثيرا أن يظل بياع الكلام فى الوزارة أو يخرج منها فهو ليس إلا وجها من وجوه الحكومة التى يكرهها الناس ويتمنون زوالها

□□□

الأونطجى

يحترمه الناس فى الشارع المصرى ويعملون له ألف حساب.. اعتادوا أن يروه بينهم بدون حراسه ولا مواكب، يدخل المكتبات العامة ليشترى الكتب ويقف أمام شباك دور السينما ليقطع تذكرة بنفسه.. ويمكنك أن تستوقفه فى أى وقت وفى أى مكان لتسأله عما تريد.. لا يتكبر على أحد ولا يرفض الحديث مع أحد.

تاريخه فى المؤسسة الكبيرة طويل وممتد وله صولات وجولات فى المعارك السياسية التى دخلتها مصر .. يعمل له الخصوم حسابًا شديدًا فهو حاضر الذهن يقظ ملم بكل ما يتعلق بالموضع الذى يتحدث فيه ولذلك ليس من السهل أن تغلبه أو تحصل منه على شئ لايريدأن يقوله أو يفصح غنه، يحدد هدفه بسهولة ولا يتنازل عن تحقيقه مهما كان المجهود الذى يمكن أن يبذله فيه.

ظل متابعا لملف من أهم الملفات السياسية المتوترة التى وجدت مصر نفسها طرفًا فيها.. لكن منذ سنوات قليلة سحب منه الملف ليشرف عليه مسئول كبير آخر .. ولم يكن هذا إتهاما له بالفشل أو التقصير.. ولكن كان الاحتياج أشد له فى الداخل.. حيث بدأ النظام يهتز وتشتد عليه

هجمات المعارضة .. ولأن كلمته لها وزن كبير فقد ظهر فى ندوات عديدة ومؤتمرات مختلفة وتجمعات خاصة ليعلن فيها أحقية النظام فى الاستمرار، وشرعيته التى حصل عليها ليس من التاريخ ولكن من الواقع وإنجازاته.

كان يفعل ذلك خلال السنوات الماضية من أرضية أنه جزء من النظام الحاكم واستمرار النظام معناه استمرار له.. لكنه يعمل ذلك الآن بحماس أقل ربما بسبب السن.. وربما لشعوره أنه يفعل ذلك من منطلق الوفاء لمؤسسة أعطته مجده وقوته ونفوذه..

ولأن الحماس أصبح أقل فقد ضعف تأثيره .. خاصة أن كلامه يأتى فى أغلبه إنشائى بدون معلومة واحدة .. والناس الآن تريد ممن يتحدث إليها أن يريحها لا لمن يكلمها عن إنجازات وبطولات وفتوحات لا يرونها أمامهم رؤى العين.

خصومه والمعارضون لدوره ولما يقوم به فى المؤسسة الكبيرة يرونه شخصا أونطجيا قادرا على أن يبلّع الناس البالوظة وهم مبتسمين.. فكل ما يقوله غير حقيقى .. لكنه قادر على صياغته بطريقة تجعل الناس ينصتون إليه ويتابعونه باهتمام.. وقد يكون خسر جزءًا كبيرًا من شعبيته لأنه يريد أن يكون مع الناس وضدهم فى نفس الوقت .. يدافع عن النظام ويدينه بنفس الدرجة من القوة ونبرة الصوت الحاد.

بعيدا عن نشاطه السياسى هو شخصية ظريفة جدا .. قادر على صياغة النكت وروايتها بطريقة خاصة تجذب إليه مستمعيه.. ولذلك فهو

ورغم جديته وصرامة ملامح وجهه إلا أن الجميع يعتبرونه فاكهة أى قعدة يتواجد فيها، تصوره عن نفسه لا يختلف عن تصور الناس فهو ذكى ولماح وداهية.. يستطيع أن يصيغ أصعب الأفكار .. ولن نقول المؤامرات.. بطريقة سهلة وبسيطة تجعلها تفوت على أعتى الخصوم.. ولذلك فإن اسمه يتردد بعد كل فكرة يطرحها النظام فى الشارع .. وليس غريب أن يقول الناس بعد كل مرة يشعرون أن الحكومة تخطط لهم شيئا معينا، أن هذا الرجل السوسة يقف وراءه لابد أنه من بنات أفكاره.

مصيره لا أحد يعلمه سوى الله.. فهو من الشخصيات التى لا يخاف أحد عليها .. فهو يعرف جيدًا كيف يصرف أمره.. فالشخصية التى تجيد اللعب بالتلات ورقات تستطيع أن تنفذ فى الحديد ولا مشكلة لديها إذا كانت داخل المؤسسة الكبيرة أو حتى خارجها!

□□□

قليل البخت

كانت أمامه فرصة ذهبية لأن يكون عالمًا وباحثًا مهمًا .. لكنه اختار أن يعمل خده مداسًا فى عالم السياسة، يعرفه الجميع متحدثًا لبقاً رائعًا .. لكنه يرى نفسه مجرد أداة فى يد النظام الذى من حقه أن يحركه كيف يشاء .. يكتم فى قلبه الإهانات واللطمات التى تلقاها على وجهه، وعندما ينفرد بنفسه يبكى بشدة فهو يستحق أكثر مما وصل إليه .. لكن يبدو أنه قليل البخت.. فحظه قليل.. وعلى ما يبدو أنه اقتنع مؤخرا بأن السياسة لن تعطيه شيئًا فأعد ليتولى منصبا أكاديميا مهما!.

جاء إلى القاهرة من إحدى قرى الوجه البحرى.. لم يكن يملك شيئا إلا ذكاءه واجتهاده دخل إحدى كليات القمة وحصل على الدكتوراه فى موضوع مهم وحساس وبدلا من أن يكمل دراسته وأبحاثه فى هذا الاتجاه.. وضع أفكاره فى درج مكتبه وذهب يبحث عن فرصة فى طرقات الحكومة.. وبالفعل أصبح قريبا جداً من قمة النظام وكان يمكن أن يقترب أكثر .. لكن لسانه لم يكن حصانه .. فى جلساته الخاصة كان يحكى كل ما يدور خلف الأبواب المغلقة ومعظمه كان من النوع الذى يجب الا يقال.. كما أنه كان يستخدم تليفونات المؤسسة الخاصة جداً فى

أحاديثه النسائية وهو ما قضى عليه .. وبين يوم وليلة بعد أن كان ملء السمع والبصر تم إبعاده فى عمل سياسى خارج البلد.

نجح بشدة فى عمله وانتظر الجميع أن يعود من الخارج ليجلس على كرسى وزارة مهمة.. لكنه عاد وانتظر طويلا دون أن يطلبه أحد لشئ.. اعتقد أنهم نسوه فحاول أن يذكرهم بنفسه لكن لاحياة لمن تنادى.. وأخيرا أصبح عضوا فى مجلس الشعب.. وبدلا من أن يتولى لجنة تناسب قدراته واهتماماته وجهوا له إهانة بالغة وجعلوه وكيلا وليس رئيسا للجنة.. ابتلع الاهانة ولم ينقذه سوى القدر الذى أزاح رئيس اللجنة من طريقه بالموت فأصبح هو رئيسا لها.

عندما تجلس إليه تشعر أنه طيب القلب فهو حتى لا يحمل خبث الفلاحين الذين خرج من بينهم.. ولذلك كان من السهل الضحك عليه وتوريطه.. تم تكليفه بمهمة سياسية كانت قاسية عليه ومتناقضة تماما مع آرائه وأفكاره واتجاهاته.. لم يستطع أن يرفض فقد تعود ألا يقول لا.. وفى اللحظة الحاسمة نصحه أحد أصدقائه أن يعمل فيها مريضا وأن يأتى بشهادة طبية تثبت ذلك .. لم يكذب خبرا فقد اعتقد أن هذه الشهادة ستكون طوق النجاة الذى سينجيه.. تقدم بالشهادة الطبية فأمسك بها المسئول الكبير وقال له إنت فاكر نفسك بتشتغل فى مدرسة إعدادى.. احترم نفسك يا محترم!

أصابه هذا الموقف بإحباط شديد وأحاط به الاكتئاب من كل جانب لدرجة أنه جلس فى بيته ورفض مقابلة أحد .. ولم يخرج من حالته إلا

بعد أن جاءه تليفون مهم من أحد المسئولين الكبار طلب منه أن ينزل إلى عمله ويبطل تهريج وشغل عيال صغيرين.. ورغم أنه أهين بشدة لكنه فرح بهذا الاتصال واعتقد أن طاقة القدر فتحت له من جديد .. لكن الوضع ظل على ما هو عليه.. فلا أحد طلبه لموقع مهم ولا أحد رشحه فتولى منصب يتناسب مع قدراته وإمكانياته.

ما يحيرك فيه أنه يصر بينه وبين نفسه أنه سيأتى يوم ويأخذ حقه.. وفى الواقع هو لا يقصر فمنذ شهور وهو يقدم نفسه على أنه المدافع الأول عن كل ما يصدره النظام من قرارات وكل ما يأخذه المسئولون من إجراءات.. لكن هذا لم يشفع له .. جعل شكله وحش جدًا عند الرأى العام.. للدرجة التى أصبحت الناس معها لا يثقون فيه ولا يقدرون كلمته حق قدرها .. هذا طبعا ما جنته عليه يداه .. فلم يجن عليه أحد .. فقد قدم نفسه منذ البداية للنظام على أنه خادمه المطيع.. ومن يدخل هذا النظام خادمًا يظل طول الوقت فى موقعه كخادم.. فالنظام لديه لاعبوه الأساسيون ولا يحتاج مطلقا لبدلاء يجلسون على دكة الاحتياطى.

سمسار المبادئ

كل من يعرفه يشهد بعبقريته .. فهو معارض عنيد وفى نفس الوقت حكومى وديع ... يقف الأن على أعتاب السبعين من عمره المديد .. ورغم أن الصحة لم تعد كما كانت فإنه مازال قادرًا على الجهاد ـ كما يدعى ـ من أجل فقراء هذا الوطن وفى الوقت نفسه يجلس بالساعات ليعقد صفقات البيزنس التى جعلته من أصحاب الملايين.. وجعلت منه صديقا لرجال أعمال ظل طوال عمره ينتقدهم ويرفضهم ويعتبرهم مصاصى دماء يعيشون على أشلاء الفقراء والمستضعفين فى الأرض.

هو باحث جاد ومجتهد أهدى المكتبة العربية كتب ودراسات مهمة كشف فيها ألاعيب خصومه التاريخيين .. لكن حتى هذه الكتب لم يتردد فى تحويلها إلى سبوبة .. فهو يعيد النظر فى طباعتها بأسماء جديدة ليوحى لمن يشتريها بأنها كتب طازجة تواكب الأحداث لكن بعد شرائها تكتشف إنك شريت مقلبا محترما هذه بالطبع ليست غلطة .. ولكنها أصبحت فلسفة دائمة عند المناضل الذى دخل السجون من أجل مبادئه .. لكن يبدو أنه اكتشف مؤخرا أن حياته كلها ضاعت هدرًا . وأن لياليه الطويلة التى كانت تمر عليه كالجبال لم تعد لها قيمة فقرر أن يعوض ما

فاته.. ولا مانع لديه أن يقدم تاريخه كله على بياض لتتصرف فيه الحكومة كما تشاء.

لديه حساسية مفرطة من كلمة «مخبر» لكن المضحك أن خصومه اعتبروه مؤخرا مجرد مخبر فكل مقالاته ليست إلا تقارير تصلح لتقديمها بشكل رسمى إلى وزارة الداخلية .. فهو يحرض على معارضيه ويشى بمنتقديه ويقدم خصومه لقمة سائغة لمن يريدونهم.. ولذلك لم يكن بعيداً على تلفيق قضية أخلاقية لأحد الذين وقفوا أمامه.. نسى كل مبادئه التى صدرع رؤوسنا بها.. استباح لنفسه أن يكذب ويشترك فى مؤامرة تلويث سمعة إنسان لمجرد أنه حاول أن يكشفه ويقول للرأى العام أن الملاك البرئ ليس إلا شيطانًا لا موقف له ولا يرى إلا نفسه .. ولا يعمل إلا من أجل مصلحته.

لا أنكر عليه أ نه يرتد فى لحظات قليلة جدًا إلى سابق عهده.. فيدافع عن حرية الرأى والتعبير.. لكنه سريعًا ما يرتدى ثوبه الجديد.. حيث لكل شئ ثمن.. ولكل جهد مقابل.. فزمن العمل لوجه الوطن مضى وولى.. ولذلك فهو لا يتردد مطلقا فى نسج مائة مؤامرة فى اليوم كى ينفرد بالساحة وحده يوقع على كل ورقة بنفسه يضع أنفه فى كل صغيرة وكبيرة.. ولا تتعجب إذا علمت أنه يوجه ملاحظات دقيقة للغاية لسكرتيرته بسبب ألوان ملابسها أو طول الفتحة فى جيبتها.. فهو لا يدع شيئا يمر دون أن يوقع عليه ببصمته.

لم يحرص على كتابة سيرته الذاتية.. لكنه قدم لنا مجرد ذكريات من حياته.. بعد أن تنتهى من قراءتها.. هذا إذا أكملتها.. يمكن أن يقوم عليك قولونك العصبى وتكون فى حاجة إلى طبيب نفسى يرفع عنك آثار التدمير التى لحقت بك.. فأنت أمام شخصية عاشقة لنفسها.. هى التى تحرك الأحداث وتقرر مصائر البشر من حولها ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم كله.. صور نفسه على أنه سوبر مان.. يدخل المعارك وهو واثق أنه سيربحها.. لا يستطيع أحد أن يسيطر عليه أو يغلبه.. ولذلك فهذه الذكريات لاتحتاج لباحث.. ولكن تحتاج لمحلل اجتماعى.. وإخصائى نفسى ليقول لنا.. لماذا يحاول السياسى الكبير أن يرتدى ثوب البطولة بأثر رجعى؟.. أن يبدو عملاقًا رغم أن كل الذين كانوا معه خلال رحلة حياته يؤكدون أنه لم يفعل شيئًا سوى الكلام الذى لا يجيد غيره حتى الآن!

تنتابه أحيانا نوبات صحيان.. البعض يعتبرها نوبات جنون.. فبعد أن يجلس على مائدة المفاوضات ويعقد صفقات السياسة والبيزنس.. يخرج من الاجتماعات المغلقة ليفضح ما حدث.. ويدعى أنه قال واشترط وعارض وينظر له أطراف الصفقة مبتسمين وساخرين مما يفعله بنفسه.. فهو يقبض بيد لكن يصر على أن يده الثانية نظيفة.. يصر على أنه يرفض.. رغم أن الأخبار التى تتسرب من وراء ظهره تؤكد أنه يخضع .. ولأن من يأتون به إلى موائدهم يعرفون طبيعته.. فإنهم يتركونه يثرثر كما يريد.. ويقول كما يشاء.. فقد تعودوا منه على ذلك.. وماداموا

ينفذون مـا يريدون فدعه يقل مـا يشـاء.. سلوك المناضل الكبيـر تخطى حـدود المحليـة إلى العـالمية.. فعندمـا زار كـولن باول وزير الخـارجيـة الأمريكى السـابق مـصر.. وعـرضوا عليه أسمـاء الذين سيقابلهم.. ضـمن مجـمـوعـة من المعـارضـين.. رفض أن يجلس معـهم فقـد فهم الخـواجة الفولة.. فـسيـجلسـون مـعه ويسـتمـعون إليـه بإنصـات شـديـد.. وبعـد أن يخرجوا يقولوا إنهم أجلسوه كالتلميذ الخيبان.. إنها طريقة المناضل الذى دفع حياته ثمنا لمبادئه.. لكنه اكتشف أن الإنسان لا يجب أن يدفع دائما.. فلابد له من وقت يقبض فيه.. ويبـدو أن هذا الوقت هو المناسب الذى لم يفلته صاحبنا من بين يديه!

□□□

العُصبجى

لا يرتاح له أحد ممن يعملون معه فى وزارته.. وجهه يحمل بعضا من الطيبة المصطنعة والخبث المتدارى وسط تجاعيد السنين الطويلة.. يصدرأوامره ولا يسمح لأحد أن يناقشه فيها كأنه الحاكم بأمره.. يحيط نفسه بمجموعة من أصدقائه القدامى الذين خدموا معه قبل ذلك وهو ما جعل رعايا الوزارة يطلقون عليه رئيس العصابة.. وعندما عرف ذلك لم يغضب بل قال لمن حوله: وفيها إيه ما أنا عُصبجى صحيح.. واللى مش عاجبه يخبط دماغه فى الحيط!

لم يستطع أحد أن يمسك عليه واقعة فساد واحدة فهو كما يقولون صاحى لنفسه جيدا لكن ذلك لم يمنعه أن يقع معاونوه فى دائرة الشبهات.. ولأنه يشعر بالمسئولية الكاملة تجاه من يعملون معه.. فإنه لا يتردد فى الدفاع عنهم وتدعيم مواقفهم.. فهم مخلصون له.. كما أنهم لا يتأخرون فى أن يعطوه حقه فى كل عمولة يحصلون عليها حتى لو كانت صغيرة.. فهو صاحب الفضل عليهم ولابد أن يعترفوا له بذلك.

يعتمد على علاقته القوية بمسئولين كبار كان صديقا لهم خلال رحلة عمله.. ولذلك فالبجاحة التى يتعامل بها طبيعية للغاية.. فهو مسنود أو يعتقد أنه مسنود.. لكن المسئولين الكبار خذلوه أكثر من مرة.. فعندما

كشفت الصحافة الصفقات التى حصل عليها رجاله بمعرفته اشتكى الصحافة إلى أصدقائه وحاول أن يحرض عليها.. لكن أصدقاءه قالوا له: اتفاهم معاهم وخلص مشاكلك بنفسك.. مش ناقصين وجع دماغ.

فى اجتماعاته الخاصة مع موظفيه لايصون لسانه.. بل إنه يعتبر لسانه الطويل ميزة خصه الله بها عن بقية زملاءه فى مجلس الوزراء.. وكثيرا ما قال لمرؤسيه: اى حد فيكم هاسمع صوته مفيش عندى له إلا الجزمة القديمة.. رغم أن جزمه كلها كانت جديدة.. وعندما رفض بعض موظفيه قراراته وعملوا اعتصام قال: إعتصام إيه وكلام فارغ إيه.. أنا حاخليهم يربوا كتاكيت فى مكاتبهم الكلاب على آخر الزمن شوية كلاب يعملوا اعتصام فى وزارتى.

كان يريد أن يقول له الجميع كله تمام يا أفندم.. وكأن العاملين فى الوزراء عساكر أمن مركزى عليهم التنفيذ وليس من حقهم المناقشة.. حتى لو كان القرار يخصهم ويحدد مصيرهم.. سجل له أحد المسئولين فى وزارته وصلة من وصلات الردح التى يجيدها ولم يكف عنها فى اجتماعاته.. وعندما وصل الشريط إلى أصدقائه المسئولين الكبار.. لم يحاسبه أحد وكل ما فعلوه اتصل به أحدهم وقال له: إعمل كل اللى أنت عاوزه فى الوزارة.. بس حاول تمسك لسانك شوية.. لكنه بدلا من أن يمسك لسانه انفلت على الآخر وفى أول اجتماع قال لموظفيه! أنا عاوز أعرف مين الـ .. ابن ... اللى سجل كلامى .. والكلام مكان النقط حذفناه بأنفسنا بدلا من أن تحذفه الرقابة !

توقع الجميع خروجه من الوزارة أكثر من مرة .. فهو عنيف ويضع النظام فى ورطة دائما.. ولا يجيد إدارة أمور وزارته.. لكنه يمسك فى الكرسى ولا يريد أن يفارقه.. من أجل ذلك يخلق بينه وبين كل المسئولين مصالح يعرف إنهم لا يمكن أن يستغنوا عنها وبالتالى لن يستغنوا عنه.. بل إنهم يصرفون النظر عن كثير من حماقاته وتصرفاته الطائشة ليس من أجل سواد عيونه.. ولكن من أجل ما يأتيهم منه وهو كثير جدًا.

يعترف كل من يعرفه أنه دخل التاريخ من أوسع أبوابه.. ليس من باب السياسة بالطبع ولكن من باب الصياعة.. فهو يردد أنه وزير جامد مفيش حد يقدر يكسر عينه.. وإذا كان فيه حد بيراهن على إنه سيخرج من الوزارة فهو حمار.. ولا يعرف الوزير المتمكن أن الحكاية مجرد وقت.. فلو دامت لغيره ما وصلت إليه.. لكن مين يقرأ.. ومين يفهم.

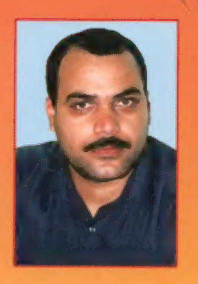
□□□

كتب كانت معى..

- سامى شرف : عبد الناصر كيف حكم مصر.
- عبد الله إمام : حقيقة السادات.
- عادل حمود : النكتة السياسية.
- أنيس منصور : الكبار يضحكون أيضا.
- مصباح قطب : زمن عاطف عبيد أو عصر الماركتتج.
- محمد الجوادى : كيف أصبحوا وزراء.

الفهـرس





من كل رئيس نُكتة

- روح يا سامي شوف فيلم (أبى فوق الشجرة) بيقولوا فيه ٣٨ بوسة.

عبدالناصر لسامى شرف

- رحت أشترى تليفزيون ملون ١٤ بوصة من بورسعيد الجمارك خربت بيتي.

الرئيس السادات

- عندنا كتب إقتصاد بالكوم ..وأساتذة إ
من غير عدد ..ومع كده الإقتصاد عندنا

الرئ

